حارة الثُعبان رواية

(بئر الأسرار)

سامية كمال محفوظ

وجدناه رابضا وسط الساحة لا نعلم متى دخل منطقتنا التي لم تعرف أشباهه من قبل , أذهلنا حجمه , هذا الشيء الذي لم نره سوى بالخارج بعيدا .. بعيدا جدا عن هنا .. فهو يذّكر أغلبنا بأشياء لا نريد تذكرها , لكنه هنا والآن بالتأكيد يعني شيئا آخر , يدفعنا الفضول جميعا لماهية هذا الشيء , ولأنه يبدو أن الفضول خلق مؤنثا , كنا نحن نسوة الحارة , تلك الحارة التي تنتهي إليها الساحة , التي تشعر بأن وجود هذا الأتوبيس يخصها هي بالذات دونا عن باقي المنطقة ...

شكلنا حلقة خفيه خلف أم بدر .. بداخل ذلك المحل الذي بالكاد يتسع لشخصين جلسنا فيه نحن النسوة يلفنا الظلام ننظر إلى هذا الدكان الغامض الذي فكرنا كثيرا أن نعرف سره , لكن ما أن مددنا يدنا على شيء أو أخذنا نظرنا إليه كانت أم بدر ونظراتها تقف لنا بالمرصاد , حينها نغض الطرف ونحادثها في أمر الأتوبيس .

حين يطول أمد الانتظار , نجدنا وقد استحلنا عدسة كاميرا , نرقب كل شيء , أنفاسنا , حركات المارة , حتى تبدل الأمر وأخذت ترقب العدسة نفسها , هل التقطت تلك الكاميرا التي تصور الجميع صورة لنفسها من قبل , هل فكر ذلك الذي يعنيه أمر الجميع في نفسه ولو مرة واحده , أخذنا نتأمل حالنا , هيئتنا التي تبدلت هذا ناهيك عن تغير ما بالداخل , نحن لا نشبه هؤلاء الفتيات اللاتي يتبخترن بالخارج , لا نشبههم في شيء , نحن سقطنا سهوا من كل شيء , حتى أصبحنا نشك هل لنا وجود على هذه الأرض , أم نحن فقط من نظن ذلك !

يبدو أن الفضول جر أم بدر لأفكارنا , لذا التفتت لنا بكرسيها القديم , هذا بالطبع لم يكن شيئا يسيرا فقد ساعدها الجميع في هذا الأمر ..

فلنحكي قليلا .. منذ زمن لم نجلس تلك الجلسة.

تردد احداهن في نفسها ..

منذ زمن ! أنا لا أذكر أننا تجمعنا هكذا من قبل , ربما قديما كنا نلتقي دون أم بدر , تلكز امرأة ترتدي خمارا وتخبرها ..

فاكره يا بت أيام زمان , كنا نتجمع عشان نرمي المياه أو ندلقها

كأنهن ينتظرن هذه الحجه حتى ينفرط منهن الحنين , ردتهم هذه الجملة إلى هذا الزمان في لحظة ونظرت إليهن أم بدر مندهشة لحالهم وماذا يقصدن .

(الذيل)

ليس كل البدايات والنهايات كما نظن , هل كل شيء يبدأ من الرأس ؟ ربما يبدئ من حيث ينتهي , حين نتغير لا يبدأ التغيير من الرأس بل ينتهي عندها , كذلك أمر حارتنا , لذا قررنا أن نبدؤها من الذيل , ذيل الحكايات ...

الجيل الأول (أهل الحارة)

اعتدن على الخروج من اجل المياه مرتان يوميا مرة من اجل جلب الماء النظيف في أخر النهار ومرة أخرى للإلقاء به بعدما صار قذرا في أول النهار التالي , هذا هو مبتدى وأخر يومهن.

هكذا قالت سعاد حماد نقلا عما حكته لها رضا المحمدي

حنان حسين العدوى

أتابع الباقيات اللاتي ما زلن يتلكأن كي نستعد لمشوارنا المعتاد في ذلك الوقت , أن نلقي بالماء القذر الذي نتج عن كافة استعمالات المنزل عدا ذلك الشيء القذر حمدا لله فهذا الشيء نضحي من اجله ونحضر عم سيد كي ينزح البالوعة ونستريح .

بيتنا في منتصف الحارة , أراقب النسوة الجالسات أمام بيوتهن , المكتفيات فوق رؤوسهن بذلك المنديل الصوفي الذي يغطي بالكاد نصف الرأس أو ربعها , بأصوات عاليه يتحادثن ويضحكن , أما نحن وقد تجاوزن السادسة عشر فنرتدي الجلابيب , نضيف إليها بعض اللمسات , لكن هي اغلب ما نرتدي وأحيانا تلك البيجاما التي نفصلها لكننا كبرنا على ذلك.

أسير من بيتي لذلك البيت القريب لي , أرى الباب مواربا , لا اعلم ذلك الفضول الذي يجذبني لمراقبتها من بعيد أحيانا , ربما أغير منها وأود التقرب مثل الباقيات حتى أكون في معيتها لكنني أكابر ....

أرها تدلف إلى الحمام تلك المساحة المربعة الصغيرة التي بالكاد تكفيها , قاعدة الحمام البلدي خبأتها (القروانة) التي تحاول الإمساك بحوافها , كي تنقل الماء الوسخ التي تحويه إلى الدلو الكبير الممتلئ نصفه , تشمر عن ساقيها اللذان لا يليقان بالمرة بهذا المكان ولا ذلك العمل.

ساقان مصبوبتان ناصعتا البياض يسفرا عن قدمان ثبتت إحداهما على أحد أطراف المرحاض البلدي , قدم مكتنزة بأصابع دقيقة بها آثار طلاء أظافر أحمر , أرمقها عن كثب , من فتحة الباب , لا اعلم ما إذا كنا صديقتان أم لا , لكن شيئا ما يجمعنا.

تمسك الدلو بيديها وتخطوا ببطء كي لا يسقط شيئا مما تحمل , حتى تصبح في الخارج وتضعه أمامها ممسكة بتلك الخرقة في يدها تنتظر أن يساعدها أحدا في حمله فوق رأسها , لا أستطيع مساعدتها , فأنا مثلها احمل دلوا ممتلئ .

لكنها لم تقف كثيرا ف صاحبة الوجه والجسد اللذان خلقا لا يصلحا سوى لذلك الاسم (جميلة) , فمن البديهي أن أول من يدلف إلى الحارة يساعدها في حمل الدلو , تلف تلك الخرقة لتضعها فوق رأسها ثم يستقر الدلو فوقها مثلنا جميعا .

نلمح الباقيات آتيات من عمق الحارة , حالتهن الآن لا تسر فهن يحملن ماء قذر على أية حال , الاحتفاء والتجمل يكون من نصيب الماء النظيف , ليس لأنه نظيف فقط , بل لأنه طريق آخر يحوي بشرا ,غير أنه يجعلك تبتعد عن العزبة لا أن تتعمق فيها هكذا .

أربع فتيات متجاورات أثناء سيرهن متبخترات بأيادي مرفوعة تمسك بحافة الدلو , وجوه ممتعضة وأقدام تخب السير , يكسو الغضب ملامح إحدانا حين تتأرجح بما تحمل فهذا يعني سقوط شيئا مما نحمل , نتجاوز الحارة وتلك الساحة المفتوحة على المروج ,مكان يندر فيه

البيوت وتكثر تلك الرقع الزراعية , طريق طويل من فرط امتداده وتشابهه تشعر أنك لم تتحرك خطوة واحدة , هذا ما يجعلنا نذهب ونأتي في جماعة , نكسر ملل الطريق بالتماس الأنس .

نصل إلى اقرب ترعة أو مصرف ُتنزل كل واحدة ما تحمل على مهل ثم تفرغ ما به متنهدة بارتياح وسعادة , الآن تستطيع أن تتحدث إلى صديقاتها أو حتى الابتسام أثناء السير , اجلس على الأرض وامدد قدمي وانظر إلى هذا الفراغ الممتد الذي يشبه ما ينتظرني , جميعنا يولد بطريق فارغ هكذا , وُيترك له بعد ذلك أمر ملئه , هذا إذا ما كنت شخص عادي , فما بالك أن يكون هذا الشخص ... انأ !

هذه المروج والترعة التي رغم احتواءها على هذا الكم من المخلفات إلا إنها وسط المروج تصبح شيئا جميلا بل وساحرا حين ترتسم على صفحة مياهها ألوان الطيف , تلقط يدي بعض الحصا فأجدني مندفعة القي بها في الترعة منتشية بصوت الارتطام وتراقص المياه حتى تهدأ ..

_والنبي أنتي رائقة يا حنان .

تقترب جميلة صاحبة الصوت , تحدثني وهي تضع يدها فوق عيناها كي تستطيع الرؤية , فهنا الشمس حامية ولا يحجبها شيء , تمسك الدلو الفارغ بيدها الأخرى , انظر إليها مستنكرة لما تقول , فمثلي لديه كل أسباب الحزن , ما الضير في أن يتجاوز ذلك ويروق باله بعض الشيء .

جميعنا لم يتجاوز السادسة عشر , لكنهم يشعرن أنهم كبرن بما يكفي حتى يصلحن للزواج ,أما أنا لا يعنيني سوى ذلك الطريق الفارغ , لابد أن أملئه بما يستحق , تخرجني جميلة من شرودي حينما تلاحظ أن عفاف وأختها قد انصرفا دون أن يقولا شيئا , فتخب بالسير كي تلحقهما وتصب غضبها عليهما , بينما أنا لم ابرح مكاني فقط ابتسم وانظر إلى الخلف إلى ذلك الطريق .

صنف واطي ولا كأنهم جم معانا .

بعد أن اقتربت منهم وقد سبقتني هي لتحادثهم ,هكذا قالت جميلة التي لم أرها غاضبة هكذا من قبل ..

طب وبتقولي نتجمع ليه يا عفاف لما أنتي مش عاوزة تمشي غير مع أختك !

تنهي حديثها ثم تنصرف غاضبة فينظران بتعجب , ثم يكملا طريقهما , تذكرن أنها جميلة , يحبون نظرات الرجال إليها , يشعرن معها أن النظرات من نصيبهن جميعا , فيلحقا بها حتى لا يخسرن تلك الميزة .. تقترب كل واحدة من ناحية ..

أما أنا لا أعنيهم في شيء فما يجمعنا هو ونس تلك المشاوير , المح الأرجوحة أخر الشارع فاتركهن لخلافاتهن التافهة , فقط اخب بالسير كي أضع الدلو بيد إحداهن غصبا ثم أهرول تجاه ما أريد ...

لهذا لا أحبذ ارتداء الجلابيب , أما وقد فعلت فأفضل ارتداء (الكلسون) البني أسفلها , قديم ملك أبي , حذرتني أمي كثيرا من ارتداءه لكن (لا حياة لمن تنادي) كما تقول دائما , غسلته جيدا ثم وضعته بين ملابسها حتى لا ينسى أبي و يرتده ..

أكثر ما يثيرني في الأرجوحة هو امتلاك شيئا ما والسيطرة عليه , ما يسعدني حين أكون بداخل ذلك الصندوق الصغير الذي يشبه القارب , تستطيع التجديف فيه بذراعك فقط , لتصبح بعدها محلقا في الفراغ , كاذب من قال أن الإنسان لا يستطيع الطيران أو على الأقل لم يركب أرجوحة ..

كثيرون ينظرون إلي ويحاولون مضاهاتي في التعويم والثبات الذي استمر عليه لثواني في الأعلى , ثم تلك الحركة الدائرية البطيئة والخطرة أيضا , لكنها متعتي والشيء الذي يشعرني بأني (حنان) لا أحد يسلبني تفردي هذا , اللحظة الأشد بغضا لي حين يرفع هذا الرجل الذراع ويجبرني ذلك الكاوتش البغيض على الوقوف , اشعر حينها بأنني بالكاد لمست الجنة ثم جاء إبليس اللعين ليطردني منها , أي عقاب هذا !

رضا المحمدي

أشفق عليه حين أراه كل يوم مجتازا باب البيت الحديدي المتآكل بفعل الصدأ , احمل عنه كيس الفاكهة الورقي و أجلسه على الكنبة الذي ما إن يلمسها حتى يرجع ظهره للخلف , حينها يبدو وجهه , متعبا لكن باسما وراضيا , وجه مليء بالتجاعيد وفم خالي من الأسنان ورأس أصلع , تشعر انه تجاوز الثمانون وهو لم يقترب من الستين بعد , يضع يده على فمه فافهم انه يريد أن يشرب , أشب لامسك بالقلة الموجودة على حافة الشباك , أزيح عنها الغطاء وأعطيه إياها مسرعة , أشير إلى الطبلية لكنه يهز رأسه معترضا ثم يفرد ظهره ثانية .

احمل الكيس كي يستطيع النوم , ثم أسحب عليه الغطاء و أغلق النور , أقف على المقعد الخشبي لأطل من الشباك على الحارة , انظر إلى المارة , والقي التحية على فلانة الذاهبة وفلانة العائدة . استند بمرفقي على السور حتى كدت أن أغط في النوم , نبهتني قدمي التي أوشكت على الانزلاق من المقعد فنزلت عنه ..

حملت الأطباق التي تحوي الطعام في الثلاجة وسندت الطبلية الخشبية على الحائط بجوار (وابور) الجاز , ذلك المكان المنزوي بجوار الكنبة الذي أعده مطبخا , والذي يحوي الوابور وحلتان شبه سوداوان من اثر الهباب وتلك المقلاة الصغيرة السوداء , التي ترقد دائما فوق الوابور ..

القي بجسدي على السرير المقابل للكنبة التي يستلقي فوقها أبي ناظرة إلى الحصيرة المتآكلة والبلاط الذي اعتدت لونه الباهت لقد اختبأت تلك النقوش التي كان يسعدني النظر إليها منذ كنت طفلة , تبدو حافة صينية الشاي أسفل الكنبة فألاحظ أن برطمان الشاي فارغ , مما يردني إلى النافذة مرة أخرى ربما أجد طفلا يناولني باكو شاي , اكره تلك الأوقات التي احتاج فيها إلى المال مهما كان زهيدا , فالمح الرائحات والعائدات بالطست على رؤوسهن , انظر خلفي إلى البرميل الأزرق البلاستيك الكبير الذي يرقد فوق حمالة حديدية وينتهي حجمه الضخم بحنفية صغيرة توضع أسفلها (بستلة) لتحتفظ بتلك القطرات المتساقطة , فابتسم بشفاه منفرجة , ابتسامة حقيقية كمن وجد سعادته أو ملاذه .

أخبرته كثيرا لا تحلم يا ولدي فمثلنا لم يُخلق لذلك , ولا تثق بشيء خاصة الدنيا حين تبتسم لك , ولا تعظم لحظات انكسارك لكن أيضا حاول ألا تزيدها .

من نصائح حسين العدوى لولده يونس الذي لم يستمع إليها يوما

يونس حسين العدوى

فاردا ظهري على كنبة خشبية لا يكسوها أي شيء , أتململ أحيانا , وأمل أخرى فاسكن حتى اعتادها , انفث دخان سجائري , ناظرا إلى السماء المظلمة سوى من بعض النجمات , التي لا يراها ويسعد بها غير العشاق , اسمع صوت أقدام تقترب مني فالتفت لأراها , تلك الفتاة التي تشبه الرجال , هذا ما يجعلنا أصدقاء رغم أنني أكبرها بخمس سنوات , تنظر للسيجارة الذي أرميها حتى أخذ كوب الشاي التي تناولني إياه .

إيه ناوية تبقي راجل بجد .

أقولها مازحا لكنني اعرف أن بداخلها ذلك الجموح ..

يا حنان أنا مبسوط انك جد , لكن أنتي بنت , وبنت جميلة كمان .

تقابل كلامي بسخرية , فهي ترى أن الأنوثة والفقر لا يجتمعان , ماذا ستأخذ من الدنيا إذا ما استسلمت لكونها أنثى , ستتزوج ؟ ممن .. فهنا أمر الزواج لا يحتاج أموال فحسب بل يحتاج عائلة ذات حسب , أو أموال كثيرة لتجعل الآخر يغض الطرف عن أمر العائلة .

أفك أزرار قميصي ليبدو اختلاف لون يدي عن باقي جسدي , أظن هذا الأمر متوافر بكثرة لدى الفقراء المتاحين للعراء والشمس , أنام على الكنبة بصدر عارٍ ناظرا إلى السماء .

عارفه يا بت يا حنان , اللي صبرني ع التربة اللي ساكنين فيها دي , إني تحت الأرض بس قلبي بيرقص مع النجوم .

تنهض وتمسك بالصينية وتنظر إلى السماء ساخرة .

النوم في الطل خلاك شاعر , يا رب تفضل عند رأيك لما الشتا يهل .

تختفي الابتسامة عن ملامحي , ثم انظر إلى السماء مرة أخرى ..

عندها حق أنتي زى الستات أصلا , كل ساعة بحال .

قبل أن تغيب البسمة عن شفتاي , اغرق في نوم عميق , لا يفسده حتى تلك الجلبة التي يحدثها دخول أبي وصوت أمي الصارخ بالرفض لرائحته , فقد اعتدنا أنا وحنان الهروب من تلك اللحظات بالنوم , لقد صحبناه وأشفق علينا نستجديه و يلبي , يسرقنا لعالم أخر , لا توجد فيه تلك الرائحة التي تغضب أمنا ونحن أيضا , لا توجد نظرات جيران ممتعضة أو مشفقة , فقط عالم لا يحفل بأي شيء سوى كونك إنسانا , لك الحق بأن تحيى كما تريد , ولو للحظات قصيرة !

رضا المحمدي

يفتح عيناه ليجد الغرفة قد استحالت مصنعا , الأرض تمتلئ بأفراخ ألألمونيوم و أدوات الحدادة ... وأنا اجلس وسط كل ذلك امسك بالفرخ وإلفه واضعه وسط المقدام منتظرا أبي ليدقه ويلحمه , احضر قاعدة ذلك الشيء , بينما أبي يرفع الغطاء عن ساقيه , ثم يعتدل وينظر إلي.

عملتي اللي ف دماغك برده يا رضا ؟

وفيها إيه يابا مش أحسن من بهدلتك وقعدتي كده .

غاوية شقا طالعة لابوكي .

اضحك بينما يأتي احدهم ينادي عليه , لن يستكين للراحة اعلم ذلك , غير انه غير مقتنع بهذا المشروع من الأساس , يرى انه قد يكون شيئا يلهيني , لكنه حتما ليس أمر يصرف على البيت , تعشق الشقاء أم كتب عليك يا أبي , لا أظننا نغويه , لا يوجد احد يغويه , بل القدر من يفعل ذلك , يرميه على كاهل البعض ظنا منه أنهم كفء له , استمر في رحلتك وشقاك الذي كتب عليك يا أبي , أظن أنني سأكمله بعدك , هناك أشياء غير الشكل تورث في هذه الدنيا .

لم اعتد الخروج ولا أحبذه , فقط حين احتاج شراء شيء من اجل البيت أو العمل , بالسابق كنت أجالس الفتيات ,لكنني ألآن أراها غير مجديه , فطباعهن وهيئتهن تختلف عني , فقد حصلت على متعة جديدة , متعة القرش التي تمسكه يدي واشعر بأنه يدغدغ حواسي ..

أتجاوز تلك الشلة المعهودة أمام منزل عفاف في أول الحارة , اعد بعض الجنيهات ثم أدسها في صدري , منذ أن نضجت ولبست أول صدرية وأنا احلم بدس الجنيهات بها , اشعر بالفخر حين المح إحداهن تحمل (بستلة) شاركت في صنعها , اذهب بعدها بزهو رجل , وما يفرقني عن الرجل , أن يكون (كسيب) ؟ .. كذلك أنا الآن .

ما إن اقتربت من بيتنا حتى رأيت أحدهم يهرول تجاهي مما أفزعني , بصمت ونظرات مليئة بالحيرة تبعته حتى تجاوزنا الساحة ثم وصلنا حيث تبدأ الرقعة الزراعية.

وقفت أمام قواعد بيت ممتدة لعدة ادوار , تلك(السقالة) الداخلية التي تشكل سلما للعمال , سبقني إليها ذلك الرجل , فزعت لهرولته فسبقته لأجد أبي ملقى على الأرض وفتات الطوب الذي كان يحمله يغطي اغلب جسده , وجدت احدهم يحاول حمله ومحو اثر فتات الطوب الذي اختلط بدمائه وعلق بملابسه , تخطيت الزحام دون صرخة واحدة , دون كلمة حتى , أمسكت به وحملته , ثم سرت غير مكترثة بكلمات الرجال خلفي وتغامز النسوة , فقط رأيت الذي حملني دوما , أراد أن احمله.

ما أن وصلت البيت حتى تهافت النساء والبنات , عبرتهن و دخلت بيتنا , وضعته على كنبته , بدا حينها كأنه نائم كما يفعل دوما في ذلك الوقت , زادت الجلبة في الخارج , خرجت لهم سريعا لأوقفهم واطلب منهم الرحيل بعدها أغلقت الباب من جديد , فتلك لحظة تخصنا وحدنا .

أمسكت قطعة قماش بيضاء لأجفف جسده وكأنه سوف يشعر بالبرد بعد استحمامه الأخير هذا , في كل مرة يدي تنزل نحو الأسفل أتردد , لكنني ارفع الملاءة وأقوم بالأمر , انظر لجسده المستكين الذي لم أره كذلك سوى في النوم , تتحرك شفاهي وتبدي رغبة في الكلام لكن لساني لم يطاوعني فتخرج أولى الكلمات مضطربة وبها بعض اللعثمة ..

فاكر يابا ..

أرى وجهه ازداد استدارة ونورا وشبح ابتسامة ربما هيئت لي , لتعطيني دفعة للكلمات العالقة ..

فاكر لما كنت تحّميني وأنا صغيرة و أتكسف واجري , تزعل مني لو خليت أم منى تحميني مع بناتها , أقولك يابا هما بنات زيي , تقولي وأنت مدور وشك الناحية الثانية , وأنا أبوكي , تتكسفي وتخافين على جسمك مني , ولا تتكسفي من الغريب !

أنا برده ما ارتكبت ذنب يعني , عملت اللي أنت ربتني عليه , أزاي اخلي رجاله غريبة تغّسلك وتتكشف عليها وأنا موجودة ..

اخرج قطع القماش البيضاء الكبيرة المسماة بالكفن , حتى افردها عليه وأقم بلفها .

كنت بتقطمني على حضور الغسل مع النسوان ف الحارة , وتقول أنتي طالعه قلبك جامد لمن يا بت ..

قبل أن انتهي من تكفينه يعلو صوت الطرقات على الباب , ما إن فُتح الباب حتى اندفعوا بالخشبة وعويل النساء الذي أوقفته بنظرة .. لم أسمح لأحد بلمس أبي , حملته ووضعته أنا بداخل الخشبة .

يخرج الرجال حاملين الخشبة , وأنا في إثرهم , يعقبني النساء اللاتي تسرب أغلبهن حتى تبقى القليلات وصلن معي إلى الجامع ,كم تتشابه المواقف والحياة , هل حدث لأحد من قبل أن

أكمل معه الطريق جميع من عرفهم أو أحبهم , أم يحدث مثل ذلك , ينفلتوا من قبضة يدك حتى تصل وحيدا لنهاية طريقك , لا افهم هذا القدر , لا افهمه حقا , لمَ يفعل ذلك في يوم شعرت بالسعادة فيه , هل أفزعته سعادتي إلى هذا الحد ؟!

وصلنا إلى المسجد , دخل الرجال وأرادوا أن يمنعوني من الصلاة خلف أبي , لكنهم تراجعوا عن ذلك نتيجة لإصراري , تركوني افعل ما أريد , وهم مابين مؤيد ومعارض ومندهش , كدت أن اركب سيارة الموتى مع الخشبة حتى امسك بيدي احدهم ليدعوني كي اركب معه , فهذا اخف وطأة علي , دون أن ادري وافقت وذهبت معه , قد تكون هذه اللمسة غير المقصودة في وقتها تماما , حتى وان كانت من باب الشفقة .

ما الذي نأخذه حين نمشي جنب الحيط , نحيا على هامش الحياة , أن تقضي عمرك دون هفوة ولو كذبة بيضاء , دون قبلة أخذتُها خلسة , ما معنى الحياة دون أن نحيا , دون أن نحب , علينا أن نفعل ذلك وان كنا على فراش الموت , طالما أتت الفرصة لذلك , وان لم تأتِ يجب أن نخلقها .

صرخ بها منصور عبد القوي محدثا نفسه

حسين العدوى

اركن العربة (الكارو) أمام البيت , هذان المقبضان الخشبيان التي ملت يدي الإمساك بهما , و جر تلك العربة كالحمار , فكرت كثيرا أن اشتري حمارا , لكن ليس هذا هو التطور الذي اطمح إليه , أتمنى أن أغير تلك المهنة من جذورها .

أقف أمام البيت نافثا عقب سيجارتي , التي لم امسكها يوما غير عقب , انفث من خلالها همومي وأظن أنها تغطي رائحة ما احمل , حتى لا أرى ذلك الاشمئزاز الذي كرهته في وجه نعمه وأولادها , الم افعل كل هذا من اجلهم , الم يكفيهم ازدراء من حولي , وتلك العربة التي تجلب لي الخناق لأنها رغم صغر حجمها تظل شيئا كبيرا نسبة إلى حجم الحارة , تخنق المارة , والأطفال الذين لا يملون اللعب , والنساء اللاتي أفكر كثيرا متى يفرغون من واجباتهن الزوجية إن كنت أراهن ليل نهار في الحارة !

ريثما افلت مرغما ما تبقى من عقب السيجارة أرى ابني خارجا من البيت , نلمح بعضنا كأغراب ثم يسير حتى يختفي في تلك الساحة المظلمة التي تنتهي عندها الحارة أو تبدأ على حسب , بعدها ادخل.

أود لو أظل اليوم كله خارج المنزل , لكن ما باليد حيلة لابد من الدخول ومواجهة نعمة , ما إن اجتاز العتبة واحفز جسدي لذلك الصراخ المستقبل لرائحتي حتى اصدم بصمت غريب لم اعتده , ادخل الغرفة فأجدها فارغة , انظر لذلك الأتساع المكشوف للعراء , فأجد أحدا ممدد يرتدي(بنطالا وتيشرت) , يخونني الظلام في معرفة هوية ذلك النائم , لكن مؤكد أنها حنان , تلك المتنصلة من كل ما هو أنثوي ! لم أرد أن ادخل في عراك تكفيني سعادة ذلك الصمت .

أعود للغرفة الصماء التي تبث بداخلي رعبا , فقد اعتدت صوت نعمة حتى لو كان مجرد صراخا وتأفف , المح ضوء خافت يأتي من الغرفة الأخرى , فأغير ملابسي سريعا وارتدي الجلباب الأبيض الفضفاض الذي ينسيني حين أنام بجوار نعمة بأنني ذلك الكائن القذر ..

تلك المرأة في الضفة الأخرى أقصد الغرفة الأخرى , يجذبني الفضول إلى مراقبتها وربما ذلك الشعور الغريب الذي خلفه غياب نعمة , المرأة التي رافقتنا في السكن بل نحن من رافقاها منذ ما يقرب من العشرين عاما , لم المح يوما لها قريب أو جار يزورها , نعم غامضة لكنها حسنة المعشر .

أهل الحارة يتذكرونها فقط حين يُمزق طفل أو شيئا من هذا القبيل , حتى أنا وأسرتي أحيانا ننسى أن هناك من يرافقنا في السكن , تحيى بهدوء مميت , لم تخرج من غرفتها , لا اعلم

كيف ومن أين تأكل , ماذا يؤنسها في ليالي الشتاء الموحشة تلك ..ترمقني عيناها , اشعر بأنها تفعل ذلك رغم جسدها النائم الذي لم يبدو منه شيئا غير تلك العصبة التي تبدو من رأسها وتخبرني بوجودها على السرير , تُرى ما الذي ذكّرني بها اليوم , هل حين تلسعك الدنيا بألم ما تجبر نفسك على رؤية من هو اشد ألما حتى تصبر !

عفاف يوسف

بشغف وتحدي التقط الخرزة عقب الخرزة واثبت كل منها بقطعة (ترتر) لامعه , أشياء تحتاج إلى تركيز شديد , وتُتعب عيني , لكن حين انتهي واجد شكل الجلباب تغير وأصبح يخصني وحدي , ولا يشبه أحدا أنسى التعب , إبرة بالكاد تراها العين , فكيف أن تخترق فوهتها بالخيط , لكن لا يهم , بدت ثمرة تعبي في الظهور , امسك العباءة الصفراء الحرير وافردها فتظهر وردة الحمراء في الأعلى وأخرى سوداء في الأسفل , ابتسم وتخرج كلماتي بها نبرة سخرية من أي فتاة تضاهيني في هذا العمل ..

عشان تبقى تغيظني جميلة دي كمان ..

تدخل علي الغرفة منى أختي ..

ما خلاص يا ست الفنانة عايزين نروح نملى ..

انظر لها بازدراء ثم أغلق الشباك لارتدي الجلباب التي أنهيت تزيينه فلن يفسد تعبي وفرحتي أحدا ..

نخرج لنجد باقي الفتيات , ينتظرن حاملين الُطسوت التي تكاد تضيء من فرط ما تنافسن في دعكها , يمسكن إياها في يد وقطع القماش البالية في اليد الأخرى , اغلبهن يرتدين العباءات المطرزة بأيديهن , يرفعن شعورهن في هيئة كعكة كبيرة مثبتة بكم من (البنس)لا يعلمه إلا الله ...وهن ..

ما أن تجمعنا وبدأنا بالسير حتى قابلنا فوج عائد بتلك الخرقة المسماة ب (الحواية) فوق رؤوسهن , ترقد فوقها الطُسوت الممتلئة بالماء , تتحدث إحداهن برأس متأرجح يحاول المقاومة والثبات , أتعجب من حديثها بالعين والحاجب , كيف تفعل ذلك وهي تحمل كل هذا الطست الممتلئ عن أخره بالماء , لكنها (جميلة) تستطيع فعل أي شيء يلفت أنظار الرجال الملفوت وحده !

لا تروحوا عند عبد النبي قفل الحنفية , روحوا عند أم محمد .

ثم تخب بالسير تحمل الطست دون أن تسنده يداها , فيداها منسابتان مع الهواء , يداعبانه بخفه ويداعب هو شعرها المسدل خلف ظهرها , جسد تعلم التوازن كالراقصة التي تحمل الشمعدان .

نتجاوز الحارة متباهين بملابسنا الزاهية المزركشة , وأقدامنا تصدر صوتا والفضل يعود لهذا الشبشب المطاطي , حاولت إحدانا ذات مرة أن تتمرد عليه , لكنكم لم تتخيلوا ما حدث لها , ونحن بالطبع ما كان منا سوى الضحك وقول أحسن , هل هذا وقت منظرة !

تلك هي نزهتنا اليومية وربما الوحيدة , أن نسير إلى حيث توجد المياه , تحصل كل واحدة على نصيبها مما تريد , كلمة حلوة أو نظرة إعجاب من احدهم , لكن ذلك يحدث بالطبع بعيدا عن حارتنا هناك في ذلك المكان البعيد المزدحم الذي يدعى.... (البصراوي).

في عودتنا وجدتها تلك الفتاة التي تقترب منا في العمر , يبدو انه الرابط الوحيد , لأنها لا تشبهنا في شيء آخر , دائما شاردة ومنعزلة , حتى أنني اكتشفت وجودها الآن بالصدفة , لا اعلم هل كانت معنا حين ذهبنا أم لا , فتاة نحيفة تحاول أن تبدو ثابتة ومتشبثة بالطست لكن كل ما بها يخذلها ويعاندها بدا ذلك في تلك الرجفة التي تسري في جسدها , فكرت أن اقترب منها وأساعدها لكن نجدتها أمها التي بدت مستعدة لذلك الموقف فتأخذه عنها وتحمله على رأسها .

ما قولت لك يا منيرة يا بنتي لا تفعلين .

لا نفعل أي شيء غير محاولة أن نكون غيرنا , أنا أتشبه بجميلة , ومنيرة تتشبه بنا لكنها سيئة الحظ تقلد أسوء ما نفعله , تأخذ الجانب الشقي , وتفوتها متعة الأمر , اسمع صفير أظل أجول بعيني حتى أصل لصاحبه , اعلم جيدا انه(سعيد), أتمنى أن أراه ولو وسط الظلام في هيئة طيف يسرق القلب لعالم آخر ..

سعيد الحلو

هنا وسط المروج , ناظرا إلى السماء , ترسم أصابعي اسمك على طين الأرض

.... عفاف .

تتسلل خطا بالقرب مني , تردد نغمات تسرق قلبي ..

يا حب أمر ك عجب , وف دنيتك سواح , يا تكون سعادة وهنا وف أولك أفراح , يا تبكي دمعة حبايبك بالفراق والويل.....

تلمع عيني وتبتهج , لكنه (الدودّ) صاحب الإيقاع السريع في كل شيء , ما أن جلس حتى قفز واقفا وخلع ملابسه ليقذفها في حجري , وهو مازال يكمل الموال , أتلقف الملابس واطلب منه أن يكمل .

_لا يا عم. اقلع عشان ننزل الترعة .

_اقلع فين دنا بغرق ف شبر ميه , انزل أنت وأنا اخلي بالي من ثيابك .

يتركني ويهرول نحو الترعة ثم يقفز صارخا مما يوقف قلبي , احتضن ملابسه وأقف مرتجفا .

ارمق ذلك السابح في ماء الترعة , كيف له أن يسبح بتلك الطريقة وهو لم يمس مياه في حياته سوى تلك الترعة , لا احد يضاهيه في أي شيء , حاولت كثيرا أن أقلده لكن ما أن تطأ قدمي حافة الترعة حتى أرد عائدا إلى مكاني المفضل وسط المروج , مستمتعا بالنظر إلى صديقي الذي أراه روحي الحرة , انظر إلى , انظر إلى السماء الصافية التي بدأت تكسوها الغيوم شيئا ف شيئا , يقبضني الأمر , أسرع إلى الترعة مناديا إياه , آملاً في الوصول إلى المنزل قبل أن تمطر ..

يخرج من الترعة يرفع شعره الكثيف عن وجهه , السليب الدمور قد التحم بجسده , فينظر لي مبتسما و هو يأخذ ملابسه قطعة اثر قطعة ليرتدي إياها ...

_مالك يا وله مخضوض كده ليه , يعني أول مره نشرب المطر , لا تخاف من الدنيا أوي كده يا سعيد , دي دنيا يعني مره في راجل يخاف من مره , ده المفروض يديها فوق دماغها ..

قبل أن ينهي كلماته بدأت قطرات المطر حتى انهمر وهو يقفل أخر أزرار قميصه .. فضحكت ..

_ هي من أعطتك فوق دماغك يا فالح

نضحك ونجري تحت المطر , الذي جعل الفانلة الواسعة تلتصق بجسدي فظهر حجمي القليل لا يهم فربما هذا الشيء الوحيد الذي أتشابه فيه مع روحي الحرة..... صديقي .

تروح له من الباب أو من الشباك , لا مؤاخذة جرك قلبك ولا ختمك على قفاك , كله واحد هنا ف الحارة , وما فيش حد من نصيبه بيتدارى .

بعد تنهيدة طويلة رددتها منيرة بعد أن أنهت حديثها اليومي مع رضا

عفاف يوسف

أقف خلف الباب أراقب جلسته ونظرات أبي , هذا هو ما أصابني بغصة وحيرة , نظرات أبي غير مطمئنة , تقولها صريحة من هذا الذي جاء لخطبة ابنتي , الأميرة المدللة , الذي حلمت لها بأعظم رجل , لم يدرك أنه في عيني هكذا وأكثر , بل إذا ما تمعن بنظراته تلك سوف يراه كذلك , يتخطى شعره الأشعث , وهيئته الغير مرتبه , ينظر فقط إلى البراءة التي تنضح بها عيناه ..

المحهم ناهضين , أبي يمد يده يسلم دونما رغبة , أمي تخفف الأمر وتودعهم بحفاوة , اذهب إلى النافذة أراه وهو يودع أهلي ويقف على ناصية الحارة ينفث دخان سجائره وينظر إلي , تفزعني لمسة من الخلف فأستدير لأجدها (منى) , ابعد وجهي كي لا تلمح دموعي , فتبتسم وتنظر عبر النافذة إلى سعيد .. تجلس بجواري وتكتفي بالنظر حتى يكاد بركان غضبي أن ينفجر , حتى أخبرتني بما لم أكن أتوقع .

منى يوسف

هذه الأيام لا أفارق النافذة , أراقب ما يحدث من بعيد , فالجميع أصابتهن الانتفاضة , نعم انتفاضة غيرت أحوالهن , فقد تغيرت أحوالنا منذ توقفنا عن ملء ودلق المياه , بالتدريج سقطن في فخ الزواج , وسقطت أنا غالبا من حسبة القدر , ها هنا راقبت يوم خطوبة (منيرة) رأيت أهل ذلك الغريب وهم يجتازون الحارة ويدخلون صفوفا يمسك كل اثنان منهم عصا خشبية طويلة , رصت عليها بعض الملابس النسائية , حتى أن بها بعض قمصان النوم , هكذا كان يهادي أهل العريس عروستهم , وكالعادة لابد أن نجاهر بما نفعل حتى نشعر بأنه ذات قيمة .

بالأمس كانت حنة (رضا) لم ترد أن تحتفل من أجل أبيها , لكن منيرة أصرت أن تعمل لها الحنة وتضعها في الصينية مزينة بالشمع ثم وضعتها في قاع السبت , ومن ثَم حملتها وذهبنها جميعنا خلفها , نطوف الحواري المجاورة نردد بعض الأغنيات , حاولت أن أجاريهن وما كدت أن أقول (يحني) حتى ارتبكت وأخذت اضحك حتى أخبئ كسوفي , فأخذت عني هذا الحمل وغنتها ببراعة كما تفعل دائما (جميلة) , رغم ذلك فهي أيضا يبدو أنها سقطت سهوا من حسابات القدر ونصيب الفرح في الحارة في هذه الأيام ..

اليوم صحوت بنشاط عجيب لكن بداخلي غصة , اليوم فرح عفاف , أختي التي تصغرني , لكنها وجدت نصيبها قبلي , وحقها أن تهنأ به , وهل يجب أن يرى القدر بطاقتك قبل أن يهبك السعادة !

وجدت شبحا يشير إلي ويتحدث بصوت عالي , أخذت ثوانٍ كي استفيق وأدرك ما حولي , عفاف تناديني كي انزل , لقد تأخرنا على الكوافير , تقف وهي ليست على بعضها , تكاد تطير من السعادة , وأنا اجمع من نسيته , حذائها الأبيض ذا الوردة البرونزية , والصدرية البيضاء التي نشترط أن تكون بلا حمالة رغم أن الفستان مقفل ولن يبدو من جسدها شيئا , لكننا نحب وربما اعتدنا أن نرتدها هكذا يوم الزفاف ...

بعد أن احتضنها جميع بنات الحارة والجميع عصر عينيه بما يكفي حتى يستطيع إنزال ما لديه من دموع , رغم أنها لن تفارق الحارة , ستسكن في البيت المقابل لبيت أبي , بيت سعيد حيث بدأت قصة حبهما ..

أقف بجوارها مرتدية فستان ستان لونه وردي , وشعري الذي أتيت به على جنب فرحة ب (البلح) الذي قمت بعمله لأول مرة في حياتي , و (الفرنشة) التي شعرت بأنها أصابتني بالحول لكنني أيضا فرحت بها , ربما أردت أن أتغاضى عن التفكير في ليلة (عفاف)..

أغط الطرف عن هذا الاهتمام بها حتى وان كان هذا حقها في ليلتها تلك , لكن هذا لا يقارن بغضبي من تلك الشمعة التي تقترب من طولي , الشمعة المزينة التي امسك بها , وتنقط أحيانا على يدي وتجعلني أكاد أن القي بها , لكنني أتذكر انه يوما ما سوف تفعل (عفاف) ذلك من أجلي فأفرح واسكت .

تقف جوار العريس في نفس موقعي أخته (هناء) ممسكة هي الأخرى بأخت الشمعة التي امسكها , وكأننا حراس لهما , أمر غريب !

ما هون علي الأمر ذلك الذي أخذني ببهجة صوته إلى عالمه , ملامحه التي تعكس لي كل ما يقوله , وجدته وسط هذا الانتشاء ينظر لي , لم أصدق نفسي في البداية , لكني تيقنت حين تحركت وتبعتني عيناه , ذلك الشعور الذي تمنيته كثيرا , يأتِ هكذا بمحض الصدفة ..

هذا ما جعل هذه الليلة تمر دون مرارة , لكن هل يعقل أن يأتِ نصيبي هكذا , عجيب أمر القدر !

منيرة مليجي

أقف في منتصف الغرفة بفستاني الأبيض , انظر إلى الشقة الواسعة , و الشرفة التي أحببت الدخول إليها والنظر عبرها إلى تلك الحارة التي تختلف عن حارتنا , فهذا شيء مشين إذا قلت على هذا الاتساع حارة , حيث يتساوى هكذا مع حارتنا , انه شارع مليء بعواميد النور وان كان اغلبها غير مضاء لكن هل يقلل هذا من شأنه شيئا .

أخشى أن يسرقني الانبهار بهذا الاتساع من الابتهاج لزواجي , ادلف إلى الغرفة من جديد , المح الرجل القادم نحوي , الذي تتضح بقربة الشعيرات البيضاء , والملامح التي قد تشعرك بالشفقة من طيبتها , تلمع عيناه وهو ينظر إلي , يتحسس وجهي , من هذا الرجل اردد في عقلي هذا السؤال , لم أره في حياتي سوى بضع مرات هذه إحداهم , ليس ممن أراهم حين أملئ المياه أو ادلقها , هذا شخص لا يليق بوقفات النواصي التي اعشقها أنا و بنات الحارة , لكن من منهن تزوجت من ذلك النوع الذي نفضله , نحن نتزوج من يريد الزواج بنا ويطرق الباب , أليس هذا هو الزواج حين يكون لبنات مثلنا , يرى يأسي ونظراتي الحائرة فيقترب مني أكثر , أخشاه وأفكر أن ابتعد لكنه يحتضن وجهي بكفيه ..

_سبحانه , بقى أنا يرزقني بالخير ده كله .

_أنا خير !

_ده أنتي الجنة بذاتها .

يغمض عينيه حتى لا يغلبه شوقه ويغضبني , ينحني ليحملني إلى السرير , وأنا ما كان مني إلا أن اندهش وانكمش , تتعلق عيني بذلك السرير الذي سوف يجمعني بذلك الغريب بعد لحظات , خطا وئيدة تبث الرعب بداخلي , كيف سيكون الأمر , كثيرا ما كنا نعقد جلسات مع أي بنت وما أكثرهن في الحارة حين تأتي بعد أن تتزوج , نحاول كثيرا أن نفهم ونطمئن كيف يكون الأمر , هل يكون بتلك الرومانسية التي تصورها الأفلام فيجيء ببالي كلمة إحداهن (اتوكسي) كثيرا ما خاب سعينا إلى الحقيقة , لا أحد يعطي إجابة واضحة عن الأمر , لا اعلم إذا كان الأمر ذاته يحدث مع الرجال أم لا , لكن أظن انه كذلك , جميعهم لا يعرفون كيف يحدث الأمر , يحدث وكفى , وما لم تستطع فهمه لا تستطيع حكيه سوف يخرج مشوه ومفتعل كما يحدث دائما , استكنت للإجابة التي تريحني , انه أمر كبصمة إصبعك , متفرد بتفرد صانعيه , كل ثنائي يشكل ليلته الخاصة التي لا تشبه احد , يجلس بقربي , يمسك يدي ويقبلني , يستلقي بعدها بجواري ..

_عارفه لو بس فضلت أنظر لكِ كده لحد ما أنام ده كفاية عندي ..

أستعجب لقوله , وأتذكر كلمات أمي بأن هناك شيئا ما لا بد أن أنتهي منه في الصباح , شيئا ينتظره الجميع رغم انه لا يخص أحدا غيري ! يمنعني الحياء من قول ذلك , ولا حاجة لقوله بالطبع , فهو يعرف ذلك مثلي وأكثر ,انظر بعيدا فيدير وجهي تجاهه ..

_عارف انك مش مصدقة , معذورة , لم تعرفي قيمة الحلم أما فجأة تلاقيه بين أيديك بعد ما شربت المر عشان تحققه , إني أشوفك جنبي على سرير واحد .

انظر إلى عيناه , إن حصل وكذبت أذني التي تسمع كلام لم تسمعه في حياتها , فكيف اكذب هذه العيون التي تنضح بالحب , كيف أحبني ذلك الرجل و نحن لم نلتق من قبل , لم نتحادث أو نتبادل النظرات حتى ..

صدقت أمي حين قالت بان الله يحمل لي ما لم احلم به , وان اختلافي عن الأخريات لم يكن لعنة مثلما ظننت , بل خير حاباني الله به , حتى أرسل شخص قلبه يمتلئ بي هكذا ..

انحنى ليخلع عني الحذاء , ثم تحسس قدمي , وقبلها , ارتبك من الخجل وأبعدها فيحتضنها مما يجبرني على الاستسلام لمثل هذا العشق , ولكن هل هذا يحدث بالفعل , أن تُعشق لهذه الدرجة دون أن تدري , وكيف له أن يخفي عشق كهذا , أم أنا لم أكن انظر كي أرى .

رضا المحمدي

انكمش في خجل ثم اجلس على مسافة منه فوق نفس الكنبة , فرحة به واشعر بأنه بديل أبي رغم عدم التشابه بينهما , لكنه الجوع إلى الأنس .... ربما !

تشرب شاي يا سي عزت ؟

أهرول بسعادة إلى أن توقفني يده فازداد خجلا واجلس على مقربة منه , تبدلت منذ أن لمسني في عز وجعي , يختلس النظر إلي ثم يقولها ..

_ظروفي حاليا مش حمل جواز , لكن يعلم ربنا إني شاريكِ.

_هو الجواز يكلفنا إيه أدي الشقة , تعيش معي .

_والمعايش يا بنت الناس .

_أنا متعودة ع القليل وراضية بيه , وحتى لو ما فيش القليل ده راضيه برده .

تذيبني الكلمات وتشكلني من جديد , أصبحت رضا الأنثى العاشقة , أترقب رده الذي غاب , هذا إذا كان هز الرأس يعتبر ردا بالنسبة إلى رجل , ومع ذلك جعلتني هذه الإيماءة أطير من السعادة , ربما ذلك الطيران أعماني عن الكثير , وابسط الكثير أن أفكر من هذا الشخص , يبدو أن شبح الوحدة شيئا اشد وطأة من أي شيء تمر به , قد يبدلك ويجعلك ترضخ لأشياء ما كنت لتفكر بها .

لو الدنيا جت لعندك أوعى تحسب لها , خد نصيبك للأخر حتى لو تمصمص عضمها

من حكم عياد المرسي التي ظلت عالقة برأس يونس

حسين العدوى

أتحسس طريقي في الظلام الذي ينيره بعض الشيء ضوء القمر , اسمع بعض الهمهمة , خلف زجاج نافذتها التي تطل على غرفتي المح يدها تحمل بعض الأوراق المالية التي لم امسك احدها يوما ..

الباب مواربا , انعكس ضوء اللمبة السهارى الحمراء على ملامحها , ملامح باهته وبشرة مغضنه , بها عين واسعة تحمل أسى ورعب العالم في آن واحد , تبتسم فيبدو فمها الفارغ سوى من سنتان متآكلتان .. تخترق عيني المندهشة , بنظرة ماكرة , ثم تشير إلي بالجلوس إلى جوارها .

لا تمتلك في غرفتها غير ذلك السرير القديم ذا العمدان والناموسية المتهالكة ... يجاوره على الأرض وابور وحلتان , وصينية فوق منضدة صغيرة بجوار السرير تضع عليها كوبان وملعقة صغيرة وبرطمانان بلاستيكيان يحويان شاي وسكر , تُخرج جسدها من تحت الملاءة , ترتدي جلابية بيضاء بنصف كم ذات كلفة زرقاء على الصدر , يبدو ذراعاها هيكل عظمي مكسو بطبقة جلديه مغضنه لتستطيع إيهامي فقط بأنها لا زالت حيه , تمسك (السبرتايه) من خلف الأكواب , تشعلها وتضع عليها الركوة , اتضحت ملامحهما أكثر بعد ذلك الضوء المنبعث من الشعلة .

لم أتحدث منذ أن دخلت الحجرة , أعجبني الصمت بها , فقط انظر إلى حيث خبأت المال , تُجيد قراءة الصمت كما الكلمات , ريثما تضع السكر في الكوب , تلقي لي الكلمة دون ترتيب أو تجميل ..

تتزوجني يا حسين و تأخذ الفلوس ؟

زادت دهشتي حد البلاهة ثم أعقبتُها بضحكة عاليه ما لبثت حتى قطعتها خوفا من أن يسمعني احد ..

أتشترينني يا أم احمد ؟

بشتري الونس يا ولدي , عارفه أنكم واخدين بحسي بس برده الوحدة وحشه خصوصا للست ..

تكاد تُفلت ضحكتي مرة أخرى ف تقاطعني ..

ولو عظم ف قفة برده ست . دول خمسمائة جنية شقا العمر كله , خدهم رد شبابك وبعدها رد روحي لأجل تستسلم للموت وهي راضية ..

تظل نظراتها ونظراتي عالقين بالدولاب ذلك المكان الذي يخفي خلفه حلم كلانا ,و تتم بشأنه الصفقة , لم يعلم احدنا من الرابح والخاسر فيها . لم أخذ كلامها على محمل الجد , أكاد اخرج فتوقفني بكلماتها .

على فكرة أم احمد ده اسم كده طلع عليه من صغري , أنا لم أتزوج من قبل .. انتظرك بكرة .

اخرج من الغرفة رادا بابها خلفي , دقات قلبي تخيفني , بعد كل صراخ نعمة , توجد امرأة واحدة في هذا الكون ترغب بي ..

اندس في سريري منتشيا , ف حديث هذه المرأة أنساني أمر نعمة التي لم تأتِ بعد وولدي الذي خرج دون أن ينطق بكلمة , ساترك هذه المنغصات للغد , فاليوم للأحلام المفرحة التي قد تكون واقعا ولمَ لا !

نعمة يونس

لم يسعني هذا البيت , لم اخرج منه برغبتي ولا حتى بسبب مجيء يونس , ذلك الحلم وأحلى ما حدث لي منذ أن حملته بين ذراعي وطلبت من حسين أن اسميه على اسم أبي الذي لم أره , ومنذ ذلك اليوم اربي فيه الابن والأب , اذهب مبتعدة عن ذلك البيت ويونس خلفي , كم تختلف الحواري بهيئتها وقلوب قاطنيها , شارع طويل تمر من خلاله العربات , تلوح لي أختي من شرفتها , اكتفي بالنظر لها دون ابتسام , هذه اللحظات التي تذكرني بأن لا أحد لي , فقط حسين وأولادي , لكن ماذا بعد ما فعله يونس , الذي كلما اقترب تباعدت خطاي , حتى يصر هو على اللحاق بي والحديث معي ..

أوعدك ياما إن عمرها ما تتكرر ..

انظر إليه ساخرة ..

ها تتكرر يا ابن بطني , لا توعد ولا تحلف على مكتوب ها تشوفه.....

اخضع لمشاعري التي تسوقني إلى يديه المرتجفة .. فامسك بها وأضمها بكفي , نعبر الشارع في بهجة , لا تليق بما يكنه كل منا ويظهر جليا في عيناه .

تردد كل منا , من هو الأحق بسرد هذه الليلة , هل حسين بصفته صاحب النصيب الأكبر ومن سيشكل مصيرنا , أم أنا لأنني من احمل هم هذه الأسرة , أم يونس لأنه القادم ومن ستتغير حياته وتتغير حياتنا بفضله , لكننا رأينا أن لا أحد منا صاحب الفضل في هذه الليلة , انه القدر الذي دفعنا وهيئنا لها , نريده أن يأخذ حصته في آلامنا , فكما يقولون (طباخ السم بيدوقه) رغم كوني اشك في هذه الجملة , فهي إذا ما كانت صحيحة لمات كل طباخي السم حتى انتهت كل السموم من حياتنا ..

القدر

أعلم ألاعيبكم جيدا أيها البشر تتركون لي هذا اليوم كي ارويه أنا , حتى تقولون العيب ليس بنا انه القدر , هو من أرادنا أن نفعل ذلك , حسنا سأحمل هذا الاتهام كسابقه ولاحقه (بجملة) ومثلما تقولوا ياما في الحبس مظاليم .

يفرق بينهما بضعة سنتيمترات , كل منهما يستلقي على ظهره ناظرا إلى السقف الخشبي وبعض بيوت العنكبوت , ودهان الحائط المتصدع ...

تتذكر نعمة وجه أختها الذي ابتهج بمجيء يونس , وندم يونس على ما فعل , ليست فعلته ما جعلتها تترك البيت , لكن أن ترى كوابيسها تتحقق , هذا لم تتحمله , ماذا ستخبر زوجها الذي يتحمل الكثير من اجلهم , أن ابنه سرق!

وهل هذا سيثير في نفسه شيئا , أم سيراه عاديا كما هو دوما , غريب أمره الليلة , لم يسألها أين كانت , وكيف لها أن تكون صامته إلى هذا الحد , مم يشكو هو أيضا !

لأول مرة نعمة لم تصرخ من رائحته , هادئة على غير عادتها , هل تشعر بحيرته , وتلومه في صمتها على مجرد التفكير في هذا العرض ؟

لكنهم يحتاجون هذا المبلغ , يرى أولاده أحق به من تلك العجوز , فكر أن يسرقه , لكنها أيضا لها حلم مثلهم , بداخلها جوع ل شيء ما , ولم يقدر الم جائع إلا جائع مثله . ماذا يفعل يا نعمة ؟ هكذا يحدث نفسه ثم يغرقون في ثبات يشبه النوم وأعينهم فتحت عن أخرها .

تتحدث عقولهم بالكثير ونظراتهم الساهمة تنضح بالكثير , جميعهم في المنزل ناظرين إلى السقف الخشبي حائرين وخائفين ومترقبين للغد , هذا الأمر ينطبق على الجيل الأول , من تنفرط منهم أحلامهم ويحاولون التشبث بالمتاح , أما يونس فغده بحجم السماء بلا سقف , هل هذا جيد أم أسوأ شيء قد يحدث لشخص !

نحن لا نعرف أبدا ما هي اللحظة المناسبة , وما هي الأشياء التي يجب أن نتشبث بها لأنها ربما لن تتكرر

تمتمت بها حنان حين رأت السخن فيما بعد

حنان حسين العدوى

وقت دخول الظلام يحلو لي السير في الشارع المطل على تلك الترعة التي قاربت على النضوب , لقد ردموا نصفها الممتد لأخر الشارع , لكن بقيتها لازالت محتفظة بالروح التي أحبها وسط المروج .

امسك بيدي علبة كبريت وأتحسس علبة السجائر التي سرقتها من يونس , أقف عند كل ماسورة من تلك المواسير التي امتلئ بها هذا الشارع الكبير , حينما أجدها مليئة بالبراز أو القمامة اشمئز وأسير اركل الحصى , حتى أجد ماسورة نظيفة , اخلع الشبشب , واحبو بداخلها مرتدية الشبشب في يدي , ما زلت اشك في نظافة تلك الماسورة , حتى أصل منتصفها حينها أجلس .

اخرج العلبة وأشعل سيجارة واردد نغمات يعجبني إيقاعها , اشرد مع دخان سيجارتي الذي أشكل منه رسوما وأحادثها حتى استفيق على احدهم يجلس بالقرب مني , أشعل عود ثقاب وأقربه من وجهه فيدير وجهه الناحية الأخرى .

_إيه ها تحرقيني .

اضحك بصوت عال . .._ تتحرق بعود كبريت ...ليه ورقة !

تشجعه الكلمات على الاقتراب والحديث بلهجة ماكرة .

لا دنا راجل أوي بس لا مؤاخذة حامي حبتين .

ابتعد وأشعل عود ثقاب أخر , ارمقه وأشير إليه أن يستمر بالحديث , يصمت ويهم بالاقتراب , يجد الشر الذي ينفجر من عيني فيلزم مكانه , استكين وابتسم , ثم أعود لتدخين سيجارتي التي على وشك الانتهاء .

_اسمك إيه ؟

_ متولي السخن .

أطفئ سيجارتي وادعوه للخروج فيقترب , أقاومه فلا استطيع , يقبلني فاشعر بخدر يسري في أوصالي , أجزاء جسدي تصيبها لسعة , أصبحت تذهب إليه بعد أن كانت تدفعه , تحتضنه فأتأكد أن لقبه هذا اسم على مسمى , ما هذا الشيء الذي يخترق براءتي , يُكذب كل ما افعله لأبدو رجلا , فهذا السخن فتت ذلك الغشاء الذكري , جعلني أستحيل أنثى ذائبة في حضن حبيب .

حين وصل لذلك الشيء عدت وحشا كما كنت رفعت بنطالي , أصبحت أنا بالأعلى , و هو مازال منتشيا بالأسفل , راودته حتى اقتربنا من فوهة الماسورة , انتعلت حذائي وغمزت له وأنا اخذ أخر نفس من عقب السيجارة .

_أتعود تذوق ما تحفش يا سخن

أضع عقب سيجارتي في فمه التي فتحته عن آخره الدهشة .. ثم ألوح له مبتعدة قائلة (سلام يا سخن)

حسين العدوى

اتكأت على مرفقي الذي غاص في مخدة لينه , لم اذكر إنني نمت بمثل هذه الراحة من قبل , عيني تنظر إلى كل شيء وكأنه جديد , لم استوعب أنني في نفس المنزل ذات السقف الخشبي , الناموسية والمفرش الأبيض , جعلني اشعر كأنني في الجنة , جنة أم أحمد , تلك المرأة التي تفصلها خطوة بين الدارين , قد تورد وجهها ولا تزال نائمة لبعد الظهر , كسرت عادتها لأول وأخر مره , نظرت إلي باسمة وهي تقول ..

رديت لي روحي , يا ليت كان في العمر بقية , بس أنا راضيه باللحظة دي ..

سكت لسانها لكن ملامحها ازدادت توهجا , بدت كمن غرق في ثبات عميق , كمن حلف على بهجته بأن لا تضيع وان كان أخر عهدها الموت , ارفع يدها الممسكة بي , اقبلها ثم أضعها على صدرها ,أجد أن المكان أصبح مقبضا , اخذ ملابسي والفلوس التي أراها ملكي الآن , ريثما التفت كي اخرج فإذا ب نعمة تقف أمامي , بنظرتها التي نسيتها .

تغاري يا نعمة ؟

غريب أمر النسوة , لا يهمهم أمرك , لكن عليك أن تظل تخصهن وحدهن !

لم أهتم لغيرتها , أشير إليها بالدخول أما أنا اذهب لأجد يونس , أعلم أن هذا المال لن يفرح سواه , غير أن لا احد غيره سيعرف كيف تصبح هذه الأموال لبنة للكثير , من المؤكد طول نظره إلى السماء لم يكن هباء , كان وحيا من الأفكار ألإبليسيه تنهمر عليه .

يمد يده محاولا حمل صندوق معبأ بزجاجات البيرة ,فتأتي يد أخرى تنتعه مرة واحدة وتسير به .

_لا تتعب نفسك يا هاني يا بني أنت مش وش شقا .

_الظاهر يا أم بدر إني مش وش حاجه .

ترفع يدها إليه كي يساعدها في النهوض , فيفلح في ذلك ما يجعله يبتسم , فتبتسم هي الأخرى , وهي تسدل عباءتها بعدما قامت عن كرسيها , فتلك عباءة المناسبات تخشى عليها من الهواء وتضع قدميها في شبشب أسود لامع به وردة ذهبية , تزيح الحذاء القديم داخل الدكان .

_يا حبيبي ما ينفعش نعرف كل حاجه , نبقى بني ادمين ازاي .

تزداد ابتسامته , يسندها لتتجاوز عتبة المحل تدير رأسها ل منعم الذي يمسك ب صندوق آخر .

_اوعى تنسى تقفل المحل أما تخلص .

تسير متكئة على هاني وقد قررت أن يذهب معها إلى الفرح , فهي تعلم انه يحتاج لمثل هذه البهجة , ومن يمنح البهجة غيرها , رغم انه يجد بهجته تختبئ خلف هذا الشباك المقفل , لكنها بهجة بعيدة المنال , فيستكين إلى المتاح ويلبي رغبة أم بدر .

يسيران بينما ينزل منعم باب الدكان بصوت عال ثم يأخذ الصناديق ويلحق بهما بل ويتجاوزهما ساخرا بضحكته الكاشفة عن أسنان صفراء , فيضحكا بدورهما وهما يحاولان أن يزيدا من سرعتهما هباء .

تجلس على كرسي منزوي خلف كراسي النساء , وكأنها أتت رغما عنها , وربما تريد أن تهرب من تحيات النساء ودعواتهم بالعدل ! تمسك بيدها شابة في مثل عمرها تحمل طفلا . فتفاجأ برؤيتها وتنهض معانقة لها ومقبلة إياها ..

_اخص عليكي دي كلها غيبة ..

_يا أختي وأنتِ تسألين ؟

_غصب عني والله .. ابنك ده ؟

_آه (أزاد)عنده سنه ونص ما أنتي عارفه إني غيبت ف الحمل .

فترد مازحة بسخرية مريرة ..

_يا أختي احمدي ربنا غيرك متأخر في كل حاجه .

تربت على كتفها فتغير(ندى) الموضوع ..

_أمال فين باقي الشلة أكيد متجمعين كلهم .

تتلفت الاخرى يمينا ويسارا وهي تتحدث ..

_أمال إيه , ده إحنا محرومين وما بنصدق نفرح .

تثبت رأسها باتجاه الكوشة ..

_أهم ملمومين بربطة المعلم يلا نروح لهم ..

_طول عمرك عين الثعلب تجيبي التائهة , الجواز لم يؤثر فيكي يا بت .

_يهيأ لكِ كلنا نتغير من غير ما نحس , بس لازم نكابر ونوهم نفسنا قبل من حولنا إننا زي ما أحنا عشان نقدر نعيش .

قالتها بغصة قبضت قلب ندى , تحول وجه تلك البشوش التي لا تتوقف عن الضحك إلى عجوز يملئ وجهها الشجن , ترمق صف الحريم المتشح بالسواد , كأنهن جاءوا هنا بالغلط , نساء عجائز اعتدن الحزن اكثر من اي شيء لذا ربما يظنون أن حتى الأفراح يمشي حالها بلون الحداد , حتى لمحت من تريد , سيدة قليلة الحجم تلف طرحة سوداء شيفون حول وجهها المغضن , تسرع وتلقي ابنها ف حجرها , مما يجبر السيدة على زم شفتيها , والغمز لمن تجاورها فتبادلها بضحكة ذات معنى , ام الطفل لم تكترث لما يحدث لأنها تعرفه جيدا فهذا طبع حماتها , امسكت بيد ندى ونظرت نحو الكوشة وهي تشير بيدها وتضحك بمليء الفم فتبدو في منتهى السعادة !

منضدة كبيرة يحيط بها مجموعة من الرجال فيما عدا سيدة واحدة , ومن غيرها (أم بدر) وحاشيتها منعم وهاني وبعض الرجال .. يلمحها شاب في بدايات عقده الثاني له ذقن خفيفة وزغب فوق فمه يعده تجاوزا شارب , وجهه بشوش ومريح , يقترب منها , يمد يده بالسلام على استحياء , فتعانقه و توبخه على غيبته الطويلة , ثم تسحب كرسي وتُجلسه , تربت على كتفه وهي تخبر الآخرون بأنه مثل ابنها , (أليس الجميع كذلك)

يلحظ هاني الذي ما يكاد ينهي زجاجة خمر حتى يمسك بأخرى , فيمتعض ويوبخه على ذلك , تتدارك هي الموقف لأنها تعلم طبع هاني جيدا , فهو لا يستطيع توبيخ أحد .

_ما أنت كنت زيه ف يوم من الأيام , ولا الذقن نسيتك , أنت مش ناصب على نفسك خيمة !

_ أنا لم أعايره بمرض يا حاجه ؟

_حاجه ! يسمع من فمك ربنا يا حبيبي , بس مرض النفس أصعب يا ضناي , وكفاية الدنيا جايه علينا كلنا , مش إحنا كمان نيجي على بعض .

تهدأ ثورته وتعود الابتسامة الراضية على وجه هاني من جديد ,بينما ام بدر تضحك من رقص الفتيات الصغيرة المتشبهات برقص الصبية , اثناء ذلك يدخل رجل في منتصف عقده الثالث فاردا صدره بحلته السوداء وشعره الأملس الكثيف الذي يشبه شعر أنور وجدي , يدخل الصوان متجاهلا نظرات الجميع يرد السلام بالابتسام ثم يجلس في ركن كبار العائلات (تجاوزا) هذا الركن الذي يحوي أي شخص يمتلك نقود وكفى , وللمصادفة وربما عن قصد تشعر انهم متشابهون , جميعهم عدا ذلك الشاب ذا النظرات الغامضة !

بجوار العروس تقف ندى , تختلس النظر إلى الفتاة وفستانها وهالتها التي أنستها تلك الطفلة .. يقتربون واحدة تلو الأخرى للمباركة واخذ الصور معها ..

وحين أتى موعد مباركة ندى أقدمت مضطربة , براءة الطفلة احتوتها وهي تقول في تلقائية ..

_الله يبارك فيكي يا أبله ندى .. عقبى لك .

تلك الفتاة لا تتوانى عن تذكيرها , لكن هيهات فهي ستحاول أن تستمتع بوقتها هذا قدر ما تستطيع ..

_إيه يا بنات مش ها نرقص ولا إيه ؟

تأتي رفيقتها أم الولد فتمسك بيدها , بضحكتها المعهودة , فترد ندى مازحة .

_اكتر واحدة جايه ف أي حاجة هي ياسمين .

تظهر من خلف الكوشة شابة في مثل عمر ندى , تمسك بيدها ويد ياسمين تنقبض الملامح ثم تنبسط من جديد فلا شيء يدوم في هذه الحارة حتى حالهن , رغم ابتساماتهم التي تخبئ الكثير , جميعهن لم يستطع مجاراة الموسيقى امسكن بيد بعض وتنحين من اجل متابعة العروس , حينها لكزت ياسمين ندى قائلة ..

_فاكره يوم فرحي يا بت .

ليل اليوم الذي شحذت فيه هذه العروس حينما كانت مجرد طفلة حذاء ندى و بعد أن خلعته متألمة من كعبه العالي , تمسك بيد ندى ل تراقصها فلم تستطع ندى حينها الرقص , فيضحكن الباقيات وتدخل ياسمين تمسك بيد الطفلة وهي تسخر من ندى التي أحرجتهم أمام فتاة صغيرة

, فتجد إنها هي الأخرى هُزمت أمامها , فيتراجعن ندى وشيرين و العروس ويكتفين بمشاهدتها وهن مندهشات بحق من تلك الطفلة التي تحوي أنثى كاملة بداخلها ..

تنتهي رقصتهن ,يأخذن أخر صورة قبل أن ينزلن عن المنصة .

كادت أن تنزلق قدماها عن السلم المكون من درجتين مرتفعتين , فتجد يد ممدودة ونظرة حانية مليئة بالحب , فتمسك بها لتنزل ثم تلاحظ بعد ذلك انه محمود فتهبه ابتسامة وتربت على رأسه , تعرف جيدا أن تلك الحركة تغضبه لكنها تصر عليها .

تمر ندى بعفاف ومنى يتجاوزان الدرجة كي يهنئان العروس , تبادل عفاف وندى الابتسام , بينما منى لم تعر انتباها لأحد يبدو انها حزينة لعدم اقامة فرح لابنتها يشبه هذا , لكنها ابتسمت حين لمحت شيماء التي ترقص وتخطف انظار الجميع , فتشعر ان هناك املا في هذه الانثى الصغيرة المتمردة , وانه لابد ان يتشابه يوم فرحها بل سيفوق هذا الفرح وبهجته ..

تنتهي تهنئة عفاف ومنى , بالوقوف كل منهما بجوار العريس والعروس , وقد طالت نظراتهما إلى شيئا ما بعيد , يستقر عند زوج كل منهما , الشارد في شيء ما يسرقه من كل شيء , لكنها ليلة فرح وهذا شيء نادر خاصة في هذه الحارة , لذا أجبروا فكرهن ألا يتجاوز هذه اللحظة ويقرر الابتهاج ويظل منتشيا بلا سبب كهؤلاء الرجال الذين أصابتهم نشوة السكر , فنحن أيضا لنا نشوة الرقص ولو كان خفية وسط الحريم حتى لا نُلام من رجالنا .

الفصل الثاني

(الجسد)

ذلك الشيء الممتد , الذي يحوي الكثير , لا يهتم إذا ما مر به ضيف أو صاحب مكان , ذا أخلاق نبيلة أم شرير , ربما رحابة صدره هذه , ما جعلتهم جميعا يفضلون التناثر حوله , لكنهم يعلمون انه شره , وما عليهم سوى سد رغباته , ولكن مما يا حسرة , وهل توجد لديهم سوى الحكايات .

الجيل الثاني (الوافدون)

الجواز ليس دائما جنة وشهر عسل , ده أوقات كثر يبقى حمل وحبل ملفوف حول رقبتك , عيال بتربيهم لوحدك , وليل تكابرين فيه مع دموعك بسبب راجل ما أخذتِ من وجوده غير الوجع , أو بسبب انه كويس راح القدر شافه كتير عليكِ وخده , ما حد مرتاح يا بنتي والنبي حتى الرجالة رغم ملعنتهم ..

حيث أرادت عفاف أن تصبر ندى بتلك الكلمات

سعاد حمّاد

يقفز من العربة النصف نقل التي أوقفها في منتصف الساحة , ثم يمد يده ليحمل عني الحقيبة وتظل في يدي حقيبة أخرى , أمد يدي ببطء يستفز السائق ..

_ما تخلصينا يا ست .

ما إن تطأ قدمي الأرض حتى يندفع بسيارته , أتطلع إلى هذا المكان الغريب الذي انتهت إليه غربتنا , وربما بدأت .

يختلف هذا المكان رغم بساطته التي تشبه البلد , لكن هناك اتساع يريح النفس , أما هنا ضيق أخشى أن يكون في كل شيء , ما أن يفزعني شيء حتى وان كان طنين ذباب , أتشبث ب (منعم) كطفلة تخشى أن تضل الطريق , تدهشني الزحمة وأصوات البائعين , والنساء المفترشات الأرض , يبعن كل شيء , ورؤوسهن تناطح رؤوس الرجال , حتى المح قهوة بلدي ف لا استطيع أن امسك نفسي من الامتقاع الذي أخبئه في مزحة صغيرة .

ضرتي أهي يا منعم يبقى مش ها أتلم عليك هنا كمان .

ينظر ثم يضحك ..

اغضب وأتمسك به أكثر ..

لا . سائق عليك النبي يا منعم , كله إلا هنا مش كفاية عليه الغربة .

انتهت بنا الساحة الممتلئة بالبشر إلى هذه الحارة , وكأنها قذفتنا فجأة من ضجيج الحياة إلى سكون الموت .

حارة تمتد أظن أنها لن تنتهي , تلك الأرض الترابية , نسير بها متشبثان , أو بالأحرى أنا من يتشبث به , أعجب من أمره كيف لا يدهشه شيء , ولا يتطلع إلى شيء , ولكنه مثلي أول مرة له في هذا المكان , كلما حاولت أن أمد بصري حتى آت للحارة بأخر لم استطع , يخيفني هذا التلوي الذي يشبه الثعبان , يسير منعم بي حتى ظننت أن الحارة قاربت على الانتهاء , أشار إلى البيت الذي سوف نسكن فيه , لم اكترث لما وصلنا إليه فما زلت منتظره جوابه , هل سيزيد غربتي بجلوسه على ذلك المقهى , تهربه من الإجابة يخيفني , لابد أن يعدني ألا يتركني لحظة واحدة في هذا المكان , لبى طلبي بإيماءة ونظرة صعيدي غاضب , جعلتني أتغاضى عن ذلك الوعد لبعد ذلك .

انظر إلى البيت الصغير الذي لا يتجاوز الثلاث طوابق , لا توجد به شرفات , نافذتان في كل دور , المح امرأة أو شيء ما منشور في كل نافذة , ما أكد لي أن كل الأدوار مسكونة . هنا أي نعم تنتهي الحارة , لكنها أكثر اتساعا هنا , منطقة دائرية انتهى إليها الجسد

النحيف , يشبه رأس الثعبان لكنها رأس كوبرا , كما أتخيل فهذا النوع فقط الذي اعرفه تكبر رأسه عن جسده هكذا , هناك انعطاف آخر يمتد لحارة أضيق , فكل شيء هنا مستمر وممتد كما الدنيا , حمدت الله أننا توقفنا هنا , فذلك الاتساع الصغير أمام البيت , أفكر أن استغلها بعد ذلك في تربية الدواجن , يبدو أن هذا المكان بيئة جيده لمن يريد أن يتغير , أن يحلم .

نعبر البوابة الصاج التي تآكل معظمها بفعل الصدأ ,اعبر خلفه , وما زلت أتمعن النظر في كل شيء , اعبر بالدور الأرضي فأجد باب مفتوح وامرأة تكبرني بعدة سنوات , وجهها الصبوح أعطاني شيئا من الراحة , منعم يصعد السلم ويسبقني , حتى انتهى بنا الأمر فوق السطح , غرفة بلوازمها مسقوفة بالخشب .

يجتاز العتبة مسميا ومبتهجا , وأعقبه بخيبة الأمل , نضع حاجياتنا , أرى كنبة يكسوها مرتبة قذرة , وحصيرة متهالكة على الأرض , ادخل الحمام فأجد حاله لم يختلف كثيرا , مرحاض بلدي , وحنفية تسبقه معلق بها خرطوم اسود صغير .

أمصمص شفاهي واخلع طرحتي والقيها على الكنبة واجلس إلى جوار منعم الذي أغضبني شخيره .

يعني إحنا نسيب الفقر عشان نأتي للقحط يا منعم , طب كان لازمتها إيه البهدلة !

يجيبني بمقطوعة متنوعة من الشخير , اقرصه حتى يفزع ثم ينام ثانية ,اتركه لاكتشاف ذلك المكان فأرى ستارة أزيحها لأجد غرفة صغيرة , بها مرتبة وكليم بحالة مقبولة .. اخلع عباءتي السوداء ليبدو من تحتها القميص الأبيض القطني القصير ذا الكلفة البيضاء , عروس لم تتجاوز الشهور لكنها لم يكن من نصيبها ذلك المدعو بشهر العسل , أراد منعم أن يذكرني به فأتي بي إلى هنا . استلقي على المرتبة حتى استطيع التفكير فيما بعد , كيف ستكون الحياة في هذا المكان , وكيف ستمر , حتى أتذكر وجه تلك المرأة التي ينضح بالرضا , فيصيبني بعضا منه وأغفو ..

رضا المحمدي

انحني على حلة يرقد في قاعها أقماع البامية وبجواري كومة تحتاج إلى تقميع , بين الفينة والأخرى اسند ظهري إلى الكنبة .يدي تمسك القطعة في اثر القطعة ونظراتي بين السكين وأولادي في الشرفة الحديدية , اطمئن وابتسم كلما لمحتهم سعداء , هذا ما يجعلني اعمل بجد أكثر حتى انهي تلك الكومة , اجلس الآن على سجادة تقترب لشكل الكليم لكنها تسعدني , هناك فارق لم يشعر به سوى من قضى عمره فوق حصيرة قديمة , وأيضا لم يشعر به سوى من يرضيه أبسط الأشياء , ربما هذا نصيبي الذي حصلت عليه من اسمي .

انتهي من تقميع البامية ,ثم أفرغها في كيس اسود , أُخرج من تحت الكنبة كيس آخر , تظهر الأرضية وقد كساها بلاط ابيض تزينه بعض النقوش , انهض واضع الأكياس على الكنبة , امسك الكيس الذي يحوي أقماع البامية كي أضعه أمام الشقة في دلو صدئ , تغيرت حالة الغرفة بعد أن تزوجت , لقد حصلت على غرفة أخرى اتركها نظيفة ومغلقه دائما ربما يأتي أحدا ل زيارتي ف يكون هناك مكان نظيف .

غرفة مسافرين كما يقولون , ولكن في حالتي المسافرين يبدو أنهم لن يعودوا أبدا , أريد أن ألاعب أفكاري السوداء هذه ف ادخل الحمام كي أطس وشي بحبة ميه , يفرحني شكله الآن بالقيشاني بعد النقاشة المتصدعة , أي نعم منيرة سخرت مني وقالت لي حينها

(يا بت ده الوحش بتاع المستشفيات) ..

اخرج وأضع الطرحة على رأسي وأعلو بصوتي وأنا انظر إلى الأولاد .

وله يا شريف خلي بالك من أخواتك لحد ما أجي .

انهي كلماتي وأرد الباب واخرج بعد أن أطيل النظر إليهم حد الملل , وربما خطفت بضعة بهجة وأنا أعاين بعيني ذلك السور الحديدي الذي أصر على تسميته شرفة , فهذه التفاصيل هي التغيير الوحيد الذي طرأ على حياتي منذ أن دخلها (عزت) .. اخرج إلى الحارة واطل بعيني على شرفتها كما اعتدنا أنا وهي , فنبتسم مهونين على بعضنا اليوم , تلك التي اقتسمت معي التعاسة والحظ السيئ ... من غيرها ..

منيرة المليجي

أُمسك طرحة سوداء وأقوم بتطريزها , اجلس على الكرسي اطوي ساق وأدلى الأخرى , أداعب طفلتي الصغيرة التي تحبوا نحو ألعابها البلاستيكية , يرن جرس الباب فأضع ما بيدي على الكرسي وانهض لأفتح الباب , فأجدها امرأة في أوائل الثلاثينات , سمراء ذات عيون صغيرة مستديرة , الكحل التي بالغت في وضعه يعطي انطباع مقبض من نظراتها بعض الشيء , تحمل فتاة في عمر طفلتي , أخبئ انقباضي منها بترحيب مبالغ فيه ..

_مرزوقة . ادخلي يا حبيبتي .

أدخلتها وأغلقت الباب ثم تركت طفلتها لتشارك ابنتي اللعب , نبتسم نحن لبعضنا , ويتنافسا الصغار على الألعاب .

أحدثها وأنا في طريقي إلى المطبخ لأظهر مرة أخرى وبيدي صينيه بها كوبان مليئان بالمياه الغازية التي لمعت لأجلها عين الطفلة الصغيرة ..

_البت دي طالعه وحشه لمن أكيد لأبوها .

فترد في ثقة مبالغ فيها وكأنها لم ترى ابنتها ..

_اخص عليكِ دي وحشة .

اضحك وأعطيها الكوب , فتأخذه على استحياء قائلة ..

_يا أختي هو أنا غريبة .

_يوه , وماذا سنأخذ من الغرب , ده أنتي نورتيني .

قبل أن تمس الكوب شفاهها , تلتصق ابنتها بها وقد أعلنت وضع يدها على هذا الكوب , حينها ترتشف الأم رشفة طويلة , حتى تروي عطشها من هذا الحر , ثم تقرب الكوب من شفاه ابنتها , لتنهل الطفلة دون أن تأخذ نفسها , فإذا ما رفعت الأم الكوب لهذا الغرض , سمعت سيمفونية لم ترغب أي أذن في سماعها , ابتسم وانظر لهذه الفتاة و ابنتي ,تلاحظ المرأة ذلك فتلاحقني بما يطرد أي شيء يخطر ببالي.

_والنبي يا أختي ما تدوق الأكل دي مغلباني .

ابتسم بخبث استطيع إخفاءه جيدا .

_منا عارفة يا حبيبتي ما هو كل العيال ع الحال ده , ربنا يخليها لكي .

تخرج كيس اسود من جانبها لم الحظ وجوده سوى الآن , إذا إنها ليست زيارة ودية ,ومن يفعل ذلك الآن!

لكنه رغم ذلك يكسر رتابة اليوم , والوحدة التي ترافقني .

تفرغ ما في الكيس عباءة وطرحة سوداء , حينها فهمت ماذا تريد مرزوقة مني , اسمعها مبتسمة وهي تصف لي عباءة فلانة التي تمنت أن تشتري مثلها لكنها غالية واليد قصيرة كما تعلم , لكن كيف ل يد مرزوقة التي يخشى أسرتها الجميع أن تكون قصيرة , حتى أن طفلتها الصغيرة ولُدت مخيفة , غير أنهم في مهنتهم منذ زمن , لا بد وأنهم يستندون على مبلغ من المال لا يُستهان به , لكنني استمر في السماع والابتسام , ليس هذا وقت الاعتراض وكشف الحقائق !

من عينيه يا حبيبتي ها أعملك ما تريدين .

تنشكح وتمسك ابنتها وتخبرني بأنها تريد الرحيل ..

أقوم أنا بقى ألا زمان حنفي إستعوقني فوتك بعافية يا أختي .

تذهب و اجلس أنا مكانها مرة أخرى ممسكة بالطرحة والإبرة , اطل من الشباك على مرزوقة , حينها رأيت رضا وتبادلنا الابتسام الذي يعني الكثير , فقدت أباها وفقدت أمي , لم يستطع القدر أن اسعد واترك حارتي وجيرتي ل رضا أكثر من ذلك , ردني إليها سريعا , عدنا كما نحن لكن معنا مخلوقات صغيرة .

حرام إيه يا مغفل , ما فيش حرمانيه اكتر من الجوع والحوجه , الفلوس هي خاتم سليمان الحقيقي اللي يفتح لك كل الأبواب المقفولة , يوم ما تيجي لازم تغرف منها , مش ها نقعد نحقق معاها حلال ولا حرام , التحقيق ده ل صاحب الملك ... أما نروح له بقى .

هذا ما قاله عياد المرسي في أول لقاء لنا

يونس حسين العدوى

نظل نحلم بالشيء حتى يأتي بين أيدينا , نرتبك ونشعر بغصة غريبة بدل أن نسعد بمجيئه , دس أبي بيدي الفلوس , الشيء الذي لم أفكر أو احلم بغيره , ظلت عيناه تتابعني , اعلم انه كان ينتظر عناقا , أو ابتسامة ترضيه على الأقل , لكنه رأى أعين تائهة ووجه جامد , تركني ومضى , يشعر أن مهمته قد انتهت , لكن ماذا افعل بهذا المال , هل انتقم من ليالي الفقر وأنفقه , أم احلم بأكثر من ذلك , أن استغله في عمل ما , ليس أمامي سوى شخص واحد يستطيع مساعدتي , هذا الرجل الذي قابلته صدفة , لكنه ظل عالقا برأسي , يبدو أن كما يقولون كل شيء يحدث لسبب , وان منذ تلك الليلة التي قابلت فيها هذا الرجل ومصيري مقترنا به , كان لقاء غريب ..

أشب وسط الزحام لأستطيع رؤية ذلك الذي أرعب الشرطة وردها منكسة الرأس , رجل بمفرده يقف للشرطة بالمرصاد ممسكا بسلاحه , ودون أن يفكر في العواقب , وجهه إليهم حين فكروا فقط في تهديده , نظرته التي تخبرهم انه جاد فيما يفعل بثت الرعب في نفوسهم , جعلتهم يهادنون على غير عادتهم معنا , انسحبوا هم ومن بعدهم انفض الزحام , وظللت أنا , يبدو أن جلال الموقف سرقني , أصحو من شرودي على مروره بي وقد وهبني نظرة حانية لم يهبها لأحد , فوجدتني طامعا , امسك بيده كطفل صغير تشبث بابيه العائد بعد غيبة , تعجب من الأمر لكنه شد على يدي وأخذني معه , أخذني إلى عالمه .

نعم , ليس هناك أحدا غيره يستطيع مساعدتي , ربما أصبح مثله , هل كان مثلي يوما ما , أم هي لعنة المال التي تجمعنا مثلما تجمع الكثير , من منا لم يحلم بالمال ويسعى إليه , انه السراب الذي نحيا من اجله , لكنه أحيانا يستحيل حقيقة , أقولها وأنا احكم قبضتي على الفلوس , ثم أدسها في جيبي وليطمئن قلبي أتحسسها بيدي من حين لأخر , ارتدي قميصي واخرج , كم هي رائعة تلك الخطوات التي تخطوها تجاه حلمك .

منعم القناوي

أقف واضعا قطعة من الكرتون فوق كتفي منتظرا ما سُيضع فوقها ,فيستقر صفا طويلا من الطوب الأحمر , امشي بخطوات حريصة فوق السقالة , أجفف عرقي بيدي الأخرى , الشمس تشاكسني , اشعر أن أشعتها تضيق بي , وإنها تريد الانتقام مني شخصيا , لا اعلم لماذا لكني اشعر بذلك , قد يكون الجو في بلدتي اشد حرارة من هنا , لكنني كنت اشعر أن أشعة الشمس دفء يلفني ويحتويني , لا كمن سلطه احد علي هكذا , ليت هناك كسب العيش كما هنا , ما احتجت حينها للاغتراب .

انهي دوري سريعا وأعود منتظرا مرة أخرى , هذه المرة أجد فوق كتفي جوالا من الرمل , حين تخر قواي احفز نفسي بأنني منعم الذي لا يستعصى عليه شيء , فأعود أقوى مما كنت , تنتهي هذه النقلات وقت الغروب فنجلس جميعا فوق السطح وسط الرمل والزلط والأشياء الأخرى , نحتسي الشاي , نادر أن تجد فينا شخص قاهري , جميعنا من الجنوب , من محافظات متقاربة , نستعيد ذكرياتنا , ربما ينسينا ذلك أننا أغراب , حين تُسرد الحكايات تسهم النظرات وتبتسم الثغور .

افرد ساقي واخرج من جيبي بضعة جنيهات أخذتهم من الأسطى , هذه هي يوميتي , هذا لقاء الشقا وقيظ الشمس , هؤلاء القاهريون يظنون أن الصعيدي شخص آلي , يستطيع تحمل ما لا يتحمله البشر , وفي الوقت ذاته فهو اقل من البشر في ما يحصل , هذا أتفهمه في القاهري , لكن أعمال البناء يسيطر عليها أهل الصعيد , فهل نسي هذا المقاول انه كان مثلنا يوما ما , أم أنسته الجلابية الصوف والشال ولقب معلم كل هذا الشقا .

أتنهد ثم أدس الجنيهات في جيبي , فهذه اشياء كثر النظر إليها يجيب إحباط , هل أصبح المقاول هكذا في يوم وليلة , بالتأكيد تعب كثيرا وصبر أكثر , أبنيت الدنيا في يوم واحد ! ليت سعاد تعلم ذلك .

سعاد حماد

افترش الأرضية وأمامي مشنة الملوخية التي ارش عليها بعض الماء من وقت لآخر حتى تظل زاهية , يعجبني اختلاس النظر إلى البائعات والتعلم منهن دون أن يعلموا , حتى أصبحت أتفوق عليهن في اجتذاب الزبائن , لكنني اعمل لنفسي حدا مع تلك التي تجاورني , ليس لأنها (هنيه) التي لا يقدر عليها احد , لكنها أيضا صاحبة فضل علي ولست قليلة الأصل حتى اضر أحدا ساعدني , فهي من تركتني اجلس في دائرتها , أساعدها أحيانا واخذ حسنتي , نعم حسنتي , فلست افتحها سبيلا , ولا احد يفعل شيئا دون مقابل في هذا الزمن .

من أساعدها فعلا دون أن انتظر مقابل , ربما لأنه لا يوجد , فهي (رضا) هي أيضا تدخل معي في معية (هنيه) ربنا يخليها لنا , لكن رضا تفعل الأمر وكأنه سر حربي أو حرام وليعاذ بالله , أحيانا اغضب من خوفها من عيالها , الم يروا هد حيلها من اجلهم .

ربما هذا الشيء الوحيد الذي يجعلني احمد الله انه لم يرزقني بالعيال , فأنا ومنعم ما زال أمامنا الكثير , كادت أن تمرق من أمامي امرأة مترددة ماذا تطبخ اليوم , يبدو أن عيناها تزوغ على الملوخية لكنها ما زالت تفكر فقط , فأقطع ترددها هذا وألح في اقترابها ولو من باب الفرجة , وينتهي الأمر وقد حصلت على ما تريده وهو بضاعتي وأنا حصلت على ما أتوق إليه , بعضا من أموالها , تلك اللعنة اللذيذة التي ابتلينا بها نحن البشر , لكنها مثل النسوة تعشق الدلال بزيادة , لكن على من فنحن النسوة نستطيع فهم بعض جيدا , وسوف أصل إلى ما أريد ...

يبدو أن القدر كان له رأي آخر , حيث أخذني وأنا في ذروة نشوتي بالحلم , فإذا ب (هنيه) تخرجني منه بصوت عالٍ (يا أختي أنتي نائمة مش شايفه اللي بيحصل)

الحقيقة أنا فعلا لم أر شيئا حتى تكلمت , انقلب السوق رأسا على عقب وهذا يحدث لسببين احدهما بسيط مهما بلغ شانه وهو الخناق , والآخر وهو اللي مكدر عيشتنا هكذا .. هذا الشيء هو ...(البلدية) .

أنا أمري بسيط ولله الحمد , البقية يسيرون من حولي , يتخبطون , تقع أشياءهم وتذهب هباء , لكنهم لا يكفون عن محاولة الاختباء حتى تختفي تلك الأيادي الباطشة التي تنهب كل ما تطال , لم افهم يوما ما هو سر (البلدية) أن كانت لا تريدنا حقا لألغت السوق وارتاحت وارتحنا , لكنها تفضل هذه اللعبة , كل منا له نصيب , كما هم دائما يقاسموننا كل شيء , ونحن فقط نحصل على لقمة العيش ..

بعد أن فرغت من مساعدة هنيه في إدخال حاجياتها , أمسكت مشنتي ومشيت , لمحت رضا تأتي من نصف الحارة , فأشرت لها أن ترجع , وقفت حتى وصلت إليها وأخبرتها عن أمر البلدية , مصمصت شفاهها وفعلت أنا نفس الأمر , حتى وصلنا إلى منيرة , لنجدها على

مصطبتها الإسمنتية تقشر ثوم , فنجلس ونتسامر , وينهون الأمر بشراء الملوخية التي تبقت معي , أنهم جيران بحق وأحيانا اعشقهم هكذا لله ف لله !

منصور عبد القوي

أسير حاملا الأكياس , مبتهجا ومنتشيا ونافخا صدري في وجه الدنيا , اعبر الشارع ثم التزم الرصيف وعيني تلزم النظر إلى المحلات , أرى محلات كثيرة للملابس لكنني أقف عند محل آخر جذبني , ربما سبب وقوفي ليس مجرد الانجذاب فحسب لكن حديث ما رن في أذني , صوت (منى) وهي تخبرني أن البنات سئمن اللعب بتلك العرائس القماش التي تصنعها لهما (منيرة) , وعدتها حينها ما أن اقبض حتى احضر لهما عرائس جديدة , دخلت محل لعب أطفال وخرجت بال عروستان , البهجة باعدت ما بين أكتافي أكثر حتى أصبح لا حدود لهما ,واكتملت سعادتي حين وجدت ركوبتي الوحيدة أمامي مباشرة .

السيارة النصف نقل المغطاة بقطعة قماش مرقعه , لا توجد بها مقاعد أو كنب ومن أفضل الأشياء وربما أسوأها لا توجد إمكانية أن تعطي ظهرك لأحدهم أو يعطيك هو ظهره , اجلس على تلك الحافة الخشبية , أضم الأشياء جيدا بين قدمي , اخرج من جيبي بعض النقود المعدنية فأعطي إحداها للشخص الذي يجلس إلى جواري , كي لا يدبسني أحدهم في لم الأجرة , فعلتها ذات مرة وحين ذهبت إلى البيت وجدت أنني دفعت أجرة من ركبوا جميعا من جيبي , لهذا لن اجعل أحدهم يفعل بي ذلك مجدداً .

أستريح وأضم العروستان إلى صدري , يتناهى إلى سمعي الحكايات , التي كثيرا ما اسمعها في تلك السيارة , هناك بعض الحكايات يدفعني الفضول للنظر إلى صاحبها , والسبب في ذلك ليس الحكاية في حد ذاتها , لكن لطريقة ساردها , في اغلب تلك الأحيان تكون هذه الحكايات للنساء ,يدهشني ذلك , كيف يحكون هذه الأشياء الخاصة جدا بطريقة مفصلة و بصوت عال لم ينتبهن إليه ولكنه فرط الحماس بالتأكيد , يعلو صوت السائق طالبا الأجرة فيناوله من يجلس في المقدمة النقود بحرص من تلك الكوة التي تحيرك , هل هي نافذة خلفية أم صنعت مخصوص لأجل الأجرة , بالتأكيد تلك الكوة أفضل من أن تمد يدك لتعطيه الأجرة من النافذة , فهذا شيء يتعب الأعصاب .

منى يوسف

ربما الحسنة الوحيدة التي فعلها منصور , انه وافق أن نسكن في الحارة , وفي مواجهة (عفاف) التي يبدو من جلستها والشرر الذي ينبعث من وجهها , أن (سعيد) قد افسد ليلتها , هي تسكن في البيت المقابل , أعلوها بدور , لذا اكشف كل ما يحدث في تلك الغرفة المطلة على الحارة , اقذف بمشبك يستقر بجوارها على الكنبة وهي تشاهد التلفاز ..

تخرج لي وبدا على وجهها أنها أرادت أن تفرغ غضبها علي , اعرف طبعها بنت أبي وأمي , لكن ما لا افهمه هو غيرتها من (الدودّ) فهي منذ أن عرفت سعيد وهي أخذتهما معا , لابد أن تعتاد الأمر حتى تستريح , المح في التلفاز مقدمة فيلم (أحلام هند وكاميليا) أفرح , أشير إلى التلفاز كي تراه فتتغير ملامحها , فهو فيلمنا المفضل , الوحيد القادر على إخراج أرواحنا من أجسادها وجعلها تحلق في سماء مبهجة ..

أنا جايه أتفرج معكِ , وحشني نتفرج عليه سوا ..

تضحك وتخبرني أنها سوف ترسل محمود يحضر اللب السوري والبيبسي كعادتنا في هذه الجلسات ..

ما الذي يجعلني أعشق هذا الفيلم إلى هذا الحد ؟ ... لا أعلم , وربما لم أسال نفسي قبل ذلك , لكن تلك العلاقة التي تربط بين هند وكاميليا تشبهنا كثيرا .

تمنينا أن نخرج برا الحارة , أن نعمل , أردنا اشياء كثيرة , لكن أبي لم يستجب لأي منها , لأنسى ذلك الآن , عفاف بجانبي نقزقز اللب ونرى المشهد الذي يجعلنا نطير فرحين لرؤيته .. مشهد البحر ..

حنان حسين العدوى

جلسنا في أخر صف , نشاهد فيلم الإمبراطورة , تلك السيدة التي أتابعها وأنا مشدوهة بها , بجواري متولي يحاول أن يفعل ما جاء لأجله , وما جئت أنا حتى لا اكذب , لكني ما أن رأيت تلك المرأة حتى نسيت كل شيء , هل من الممكن أن نتجاوز كل شيء ونصل إلى القمة .

دائما ما تكون نهايات تلك القصص نهاية سيئة , لابد ألا ينتصر الشر يريدون أن يفهموننا ذلك , لكننا نعرف أن الواقع مغاير , حتى وان كان غير ذلك , يكفينا أن نهنأ يومين في العمر ثم يفعلوا بنا ما يريدون .

اترك نفسي هكذا اذهب إلى جموح متولي تارة ,والى جنة الحلم مع هذه السيدة مرة أخرى , نستفيق وعلى رأسنا أحدهم يسمعنا كلمات من الأفضل تجاوزها , ثم نخرج , اتكأ عليه كي لا أقع بسبب الحذاء ذا الكعب الرفيع الذي لا اعرف كيف كانت أمي تسير به , (قال وخرجت مع أبي) , قصة لا تعقل كلها .

أنا أيضا اشك بأمري ارتدي جيب ذات فتحة مبالغ فيها من الخلف وبلوزة ضيقة , حتى أنني ذهبت إلى جميلة كي تعمل لي تسريحة وتضع لي بعض مساحيق التجميل , لكنها مرة لن تتكرر , لن أكون سوى أنا , وان لم يعجب متولي هذا الأمر فكل منا في طريق , اشعر أن كلانا ينجذب إلى جسد الآخر لا أكثر , ربما لأنني تجاوزت العشرون دون زواج على غير عادة الحارة , يلكزني متولي ويتحدث بصوت عالٍ ...

سوف نأكل ولا نروح ..

اشعر بالقرف منه , فهو هكذا يريد أن يخطف ويجري , ليس شخصا أشاركه كل شيء , اتركه واذهب وحدي دون رد .. أنا لا احتاج أحدا خاصة هو , لقد عرفت ما أريد , أن أكن مثل تلك المرأة .

انظر إلى أفيش الفيلم من بعيد ثم انطلق صارخة من الفرح وألوح مبتعدة ل متولي وأنا أشير له ب إصبعي ضاحكة بصوت عالي حتى يختفي عن وجهي أحاول ركوب الأتوبيس لكنه يجري لكنه مصرا على المضي قدما كأنه لا يراني , لكنني قررت ألا أفوت شيئا ولن أدع شيئا يفوتني , كي استطيع اللحاق به ضحيت بالحذاء , يبدو أنه لكي تصل إلى ما تريد , يجب أن تضحي ببعض الأشياء ...

اذكر ما قيل عن أحدهم بأنه تمنى المال مقابل الصحة فتحقق ما تمنى , اشعر أن هذا ما حدث لنا , وكأننا تمنينا ذلك في ليلة ملعونة , أن يهبنا المال مقابل سعادتنا , أي صفقة هذه !

يونس محدثا نفسه ذات ليلة وهو يحملق في السماء كعادته كلما شعر بضيق

نعمة يونس

تنعكس على وجوهنا أشعة التلفاز الذي نشاهده لأول مرة , حنان التي تتحدث مع يونس وتتغير ملامحهما كل ثانية , حسين بنظراته الحائرة بين التلفاز والحجرة التي تبدلت هيئتها بعد أن أحياها يونس بطلاء جديد , والغرفة المغلقة لحين تغيير هيئتها هي الأخرى , جميعنا تبدلت نظراته , ولا يعني أمر التلفاز الجديد أحدا غيري , أشاهد فيلم الزوجة الثانية , وأتذكر حين كانت (أم عفاف) تضع التلفزيون في وسط البيت ويلتف حولها هي وبناتها بنات الحي ونسائه يشاهدن الأفلام في هذا الجهاز الملون الذي لم يدخل بيت احد بعد , أما أنا لم يكن لدي لا ملون ولا ابيض واسود , لا يوجد سوى الراديو ..

يعجبني دلال سعاد حسني مع شكري سرحان مما يجعلني أميل على حسين محاولة تقليدها , يحجب فعلي ذلك الحزن الذي تنضح به كل خلاياه . يحيرني هذا الأمر , ما الذي ينغص عليه فرحته , أليس هذا ما كان يحلم به ... المال !

خرجا كلا من حنان ويونس تفاديا لعلو صوتهما , حتى لا نعرف فيما يتحدثان , ولهما الحق في ذلك , فأنا رغم تركيزي الشديد مع الفيلم إلا أن الفضول كان يدفعني إلى التصنت عليهما , أشعر بشيء ما لكني لا أفهمه . التفت إلى حسين لأحدثه فأجده ما زال ساهما , يفيض بي الكيل فأصرخ فيه حتى يفزع .

_في إيه يا حسين , أتشعر بالذنب , أم حب !

أتحدث أنا ويلمح هو الحلق المتدلي من أذني .

_أخذتِ الحلق ليه يا نعمة ؟

_أنت فيك إيه يا حسين , بكلمك ف إيه وأنت تقولي الحلق ! الحلق بتاع ضرتي . مثل ما شاركتني فيك ليه حق أشاركها وأورثها كمان !

تغضبه كلماتي , فيخرج كي لا يهينني أو يمد يده , اشعر بمرارته لكنه غرق في الأمر أكثر من اللازم , هل السعادة تعادينا إلى هذا الحد , أي ذنب اقترفناه كي نعاقب هكذا .

حينها تقع عيني على تلك الغرفة المغلقة , أمصمص شفاهي واصمت , أراقب حسين الذي وقف في البهو ينظر إلى أولاده مازالا يعشقان النقاش في هذا المكان الطليق , الذي يبدو أنهما أحباه هكذا بلا سقف ,

شعرت أن كل شيء يلفظه ويدفعه للخارج , بدونا وكأننا لم نعد نريده , وما كان منه سوى الخروج من المنزل والسير بعيدا , أشعل سيجارته وترك الأمر لقدميه .

حسين العدوى

واقفا في ركن مظلم لم يبدو مني غير شظايا سيجارتي , وتلك الخطوط التي توحي أن هناك حركة لشخص ما , حارة صامته ومظلمة , مكان يدعو لكل شيء , وخاصة الأشياء الفاسدة , فالظلام ملهم للكثيرين , المح ثنائيات في الخفاء تفعل أشياء وان لم أرها تخبرني بها الأصوات الصادرة عنها , تنهدات وتأوهات , ثم يأكلهم الظلام ويعود الصمت أرى خط من الماء يمتد حتى يقف أمامي , صانعا بركة صغيرة , ترتفع عيني وترسم شفتاي حركة الاشمئزاز المناسبة لهذا الوضع , اشعر بأن من فعل ذلك التفت إلي وبصق ثم رد عائدا حيث أتى .

في وقت آخر سابق لهذا قد اصرخ وامسك في خناقه , لكنني الآن تغيرت كثيرا , لم اعد اهتم بأي شيء سوى تلك الغصة التي زرعتها بداخلي تلك المرأة , أمنحتنا المال ومعه لعنة حتى لا استمتع به , أرى شبح امرأة , أن تسكن تلك الحواري فهذا يعني أن تعرف الرجل والمرأة من خطواتهم , ومن أعمالهم أيضا , كانت تتبع بهائم , وأنا اعلم جيدا أن هذه مهنة نسائية , مكثت مكاني حتى ابتعدت , ثم أخذت أراقبها عن كثب حتى شاهدتها , امرأة تلم روث البهائم , اضحك حين أتذكر عملي وانظر بعيدا إلى عربتي الذي اعرف مكانها لكن الظلام لم يسعفني لرؤيتها , استغرب أن تقبل امرأة هذا العمل , قدها من الخلف يوحي بأنها امرأة ذات قدر من الجمال والأنوثة , فكرت للحظة , هل يسئم زوجها تلك الرائحة , أم هذا حكر للنساء !

تستدير وهي تحمل القصعة فوق رأسها , وجها ملائكيا في عصبته السمراء , تخب بالسير أخطو تجاهها ثم أقف وأخطو عكس ما أرد ت.

يونس حسين العدوى

نائما أغازل الفلوس التي تمتلئ بها كفي , أعدها وأطيرها في فضاء الغرفة حتى تقع علي , حين تمس جسدي اضحك بصوت عالي وكأنها تدغدغني , تقتحم علي خلوتي , الذي لم اعتد عليها بعد , افزع وأصيح بها .

_مش ناوية تبطلي عادتك دي يا حنان .

تندهش , وكأنها تقول متى دخلت تلك القوانين بيننا , فنحن هكذا منذ الصغر , لكنها لا تعلم أن هذا أصبح ماضي , وأنني أريد أن أنسى كل ما يخص الماضي , خاصة ذلك البيت عاري السقف , الذي صممت أن نتركه ونبني بيتا جديدا , رغم نظرتي الغاضبة وإشارة يدي التي ما زالت عالقة تشير إليها أن تخرج , جلست على حافة السرير , بالقرب مني وبدأت تتحدث بهدوء !

ها نعمل إيه يا يونس ؟

ف إيه يا حنان , هو أنتي بقيتي حاشره نفسك ف كل حاجه ليه !

ترفع حاجبها مستنكرة ردي , يداخلها شعور بأنني أريد أن أخرجها من حساباتي , اعرفها ابنة أبي , لكن هذا ما قررته بالفعل , إذا كان لديها حلم فلدي أكثر ولن يعيقني عنه شيء . فأجيبها بما ينهي هذا العشم الذي تمتلئ به ..

أنظري يا أختي , حوار الأتوبيسات والرحلات ده ما زلنا شركا فيه , لكن الحوار إياه لا .

تطلق زفرة تكاد تحرقني , ترمقني بنظرتها التي أبغضها , أكانت منحتني شيء حتى تمنعه , عقلنا وفلوس تلك المرأة التي أذهبت عقل أبينا هما السبب فيما نحن فيه الآن , تخرج غاضبة وأنا أعود إلى النوم بعد أن خلعت قميصي الذي لبسته عند دخولها .

أصبح بيني الآن وبين السماء حجاب , لكن سماء أحلامي لم ولن يحجبها عني أحد , هل تظن تلك الغبية أن قروش آبيها سوف توصلنا إلى شيء , لابد من مقامرة والمقامر لابد أن يظل وحيدا وحرا .

أم بدر

يا حبيبي طب هات مراتك وتعالى اقعد معي حبة ..

اصمت بعدها وأغالب الدمع , أغلق الهاتف الذي تبدو حوافه بالكاد من بين يدي , ارقب الأسطح والمارة في الحارة من خلال النافذة , اتعب من الوقوف فأستريح على المقعد البلاستيكي الكبير الذي يحتويني ويتحملني , اخرج من جيبي حفنة لب سوري , أكل أول واحدة فتقشعرّ ملامحي , واخرج ما في فمي في منديل ورقي .

_المرارة لم تتركنا حتى ف اللب !

اتكأ على ذراعا المقعد لأنهض , وأخطو خطواتي التي كان يشبهها زوجي رحمة الله عليه بالبطة البلدي التي بدأت عهدها في(التزغيط) وتشعر بأنها أنثى بزيادة , تخرج مني ابتسامة بنكهة البكاء بعدها ارتدي عباءة سمراء كاحله اللون ذات طراز قديم , الطرحة فوق رأسي دون أن ألفها , افعل ذلك دون أن افلت الهاتف من قبضتي.

أغلق النافذة وضوء الغرفة , أقف أمام الباب قبل أن اخرج ناظرة إلى نعلي البالي و الآخر اللامع فارتدي القديم وأزيح بقدمي الآخر تحت كنبة صالون لا تستطيع تمييز لونها الذي بدله الغبار والأوساخ .

استند على سور السلم وانزل بحذر , أخطو ب قدم حتى تستقر ثم انزل الأخرى , احمد الله أنه دور واحد فقط , ورغم ذلك لم انزله إلا للشديد الآوي , اخرج من باب البيت بحركتي البطيئة المح توكتوك عندئذ يرتفع صوتي الذي يمتلئ بالأنفاس المتلاحقة التي تجعلك تظن أن المتحدث يخرج أنفاسه الأخيرة , أو خائفا من شيء حد الموت , لكن لأن الحارة وعلي غير عادات الحارات (صامته) سمعني الشاب ووقف ثم عاد إلي , ذلك الانعطاف الذي يختبئ في نهاية حارة الثعبان ..

ابتسم وتهدأ أنفاسي شيئا ف شيئا , ريثما يقترب مني الشاب ويأخذ بيدي ويساعدني حتى اركب التوكتوك , ادقق النظر بعد أن امسح عدسات النظارة جيدا فأجده شابا اعرفه , حينها تزيد ابتسامتي عرضا وأحادثه ..

_يخليك يا حبيبي ويسعدك , أخبارك إيه ؟

_الحمد لله يا خالتي , على فين كده ؟

_يستأهل الحمد , على المحل منت عارفه .

أرى ذلك التساؤل الذي خشي أن يصرح به , كيف لي أن اذهب إلى المحل المغلق منذ سنوات وأن اذهب إليه هكذا في النهار , لكنهم يعلمون إنني وتصرفاتي غامضون , يبلع فضوله ويلهي نفسه بالرد على التحيات التي يلقيها أصحابه الذين نمر بهم في تلك المساحة الصغيرة حتى وصلنا إلى المحل .. ذلك الاتساع أراه براح الله الذي وهبني إياه , كي يزيح كل همومي , أشرت له بعد أن قرر الوقوف بالفعل , نزلت ببطء وهو لم يتوان عن مساعدتي , أعطيته

الفلوس وما كان منه سوى الابتسام والرحيل وأنا ألاحقه بدعواتي , ما إن نزلت حتى استقريت على مقعد صالون قديم يوضع أمام الدكان , أخذت أنفاسي مجددا كأنني أتيت سيرا ,

بعد أن انتهي من شرودي وشجني ومتابعة الهاتف الذي لا يفارق يدي , أرى أمامي , سيدة نحيفة صغيرة في الحجم لا تستطيع تمييز عمرها , فهي من النوع الذي يقال عليه (مقردن) تنظر بخبث كي تراقبني دون أن ادري , هنا تيقنت أنها جديدة على الحارة , أو على الأقل لم تعرفني , اشعر بضيق ملامحها وكأنني أخذت منها شيئا وربما أفسدت عليها حلما !

ظل كلا منا يختلس النظر إلى الآخر دون خطوة لبدء كلام , اتسعت عيني وأنا انظر تجاهها مما أخافها ودفعها إلى النهوض وتنفيض عباءتها السوداء , ويبدو أن هذه الضربات على مؤخرتها لم تجدِ نفعا , فالرقعة الترابية ما زالت طابعة هيئتها على العباءة , تنسل إلى البيت ويخفيها الظلام .

سعاد حماد

منذ أن جئت هذا المكان وليس لي متعة سوى الوقوف في النافذة , حين تتجاوز نظراتي الحدود وتحاول التلصص على ذلك العالم الذي يحويه دكان (أم بدر) أردها عائدة إلى أي شيء آخر , ولو كان حكايات منيرة ورضا فهما بالطبع أهون كثيرا .

انظر إلى الشرفات المتقاربة , واحمد الله أنني اسكن الدور العلوي , فهذا يعطيني مسحة من الحرية والتنفس , وربما مسحة من التخفي كي استطيع مراقبة من أشاء كما أريد , احفز أذني حتى تستقبل جيدا كل ما يقال , كل بضع دقائق ارفع الحجاب الذي ينحسر عن شعري فألجأ لتلك العصبة التي أفضلها وتذكرني بأيام الصعيد.

يخرج توكتوك من دهاليز الحارة التي تقترب من ركن أم بدر , لم يدخل التوكتوك الحارة إلا لأمر ضروري تمنيت أن اعرفه , لكن إذا كان الأمر لا يخص حارتنا ف لا يهم , لم اسمع تلك الجلبة التي تسبقهم غالبا , هذا ما جعلني اعرف من السائق , ومن غيره (محمد أنور) , تلمحه أم بدر فتناديه , يتجاهل نداءها ظنا منه انه بذلك يدرأ مفسدة , فتكرر نداءها بصوتها الأجش الذي يجبر الجميع على تلبية النداء , يلتفت مجبرا فتجيب بلهفة ..

أوعى تمشي من شارع أبناء سوهاج في خناقة كبيرة هناك ...

يسير التوكتوك بينما أتجاوز مخاوفي وأحاول النظر إلى تلك المرأة ذات السر الأعظم والهيبة التي لا مثيل لها , ما سر هذه المرأة , كيف تكن هذا الحب للجميع , بل الأعجب من ذلك كيف يحبها الجميع ويجّلّها إلى هذا الحد ؟

ترفع أم بدر رأسها ف ترمقني , وربما لم تكن تنظر لي من الأساس , لكنه الخوف , الذي أفاقني من تجاوزي , ماذا افعل الآن إن علمت أم بدر بتفكيري هذا , اسمع خبط الباب التي لا يتوقف ف أولي ظهري للشباك .

حاضر .. جايه اهو .

فيستمر الخبط ..

يوه .. هو أنا كنت واقفة قدام الباب !

لا وأنتي الصادقة , راشقة في الشباك .

افتح الباب ليلقي بوجهي مشمئزا تلك الجملة , زوجي الذي تشعر أنه طفل بجسده الصغير هذا لكنك تغير رأيك حين ترفع بصرك لترى ذلك الشارب الكث الذي يخفي شفاهه ,يرتدي جلباب زيتي , يعطيني كيس اسمر فأخذه و اعوج فمي , فيقرأ ما أفكر به ..

قوليها , ما أنتي لسانك طويل .

لا يا خويا مش ها أقول حاجه ها انقعهم وأقيد ع الأكل على ما تأخذ دش .

اتركه وادخل الحمام , انظر إليه و هو يخلع جلبابه ليبدو حجمه بحق في الكلسون الأبيض والفانلة البيضاء ما أن نقعت ملابسه ودخلت المطبخ حتى جاءني صوته ..,

بس إيه الحنان ده كله يا سعاد مش عادتك !

أرد بصوت عال من المطبخ , وأنا افش غلي في تحضير الخضار ..

لا يعجبك شيء !

لا يعجبني ونص يا أختي بس خليكِ كده دائما .

قالها بصوت هادئ فخمنت ماذا حدث , لقد فرد ظهره على الكنبة ناظرا إلي السماء الصافية والحمام الذي يحط على غية (الدودّ) جارنا , هذه الأشياء التي تذكرنا بروح البلد , حتى ,تؤنس روحه فيخلد إلى النوم كطفل في معية أمه

أخرج من المطبخ وأنا أبرطم , برفضي لعادته في النوم كل يوم هكذا , خاصة حين وجدت أن تخميني صحيح , , رغم إنني لم احتج إلى هذا التخمين فيكفي صوت شخيره الذي تستطيع سماعه وأنت على سلم البيت .

في لحظة كده بيحصل لك شيء يفتح عينك ع الدنيا أو يقفلك منها

هكذا ينطق لسان سعيد حين يقرر أن ينطق

يونس حسين العدوى

اسلك الحواري المظلمة حذرا , أخشى أن اظهر قلقي فيشك بي أحدهم , أتحسس خطاي كي لا اصدر صوتا رغم يقيني من عدم وجود أحد في هذا المكان , لقد اجتزت الشارع المظلم الطويل الذي يخشاه الجميع , حتى وصلت إلى الشارع الوحيد المتبقي به بعض من روح العزبة زمان , تلك الأرض الزراعية التي كانت تطل على ترعة ممتدة , المح أضواء المكان المنشود تتجلى بوضوح , ابتسم وانفث دخان سجائري ببعض الراحة , وربما من اجل تخفيف التوتر الذي زادت حدته ما أن وطأت قدمي هذا المكان , اكره مواجهة هذا الرجل وأخشاه , لكن حين تُخير بين الموت والخوف لا بد أن تختار الموت ..

اجلس منكمشا رغم أن هذا ينافي طبيعتي , لكنني هكذا أبدو أمامه , الرجل الذي فتح لي أبواب الجنة والنار معا , ارمقه في قلق , فيبادلني بنظرة ماكرة , يضع بعدها سلاحه في جيبه بهدوء كأنه علبة سجائر ثم يثبت عيناه في عيني كي يرى الإجابة إن لم استطع الإفصاح به , فيسألني ..

_ما سبب قلقك يا يونس ؟

يدهشني هدوءه فاندفع قائلا ..

_أنت مش عايش معانا يا معلم , ما أنت عارف اللي حاصل .

_وإحنا مالنا يا عبيط !

_مالنا أزاي , ما نفعله منتهى أللبش والحكومة مش ها تسكت .

_مش نِور مثل ما توقعتك يا يونس .

_بتعلم منك يا معلم , نورني .

_اللي اقدر أقوله إن طالما ما فيش أوامر عليا يبقى إحنا ف السليم , بالعكس ده المطلوب إننا ندخل بثقلنا اكتر .

_أزاي بس .

_يا واد بقولك أوامر عليا .

هنا شعرت بالفعل إنني لست ذكي بما يكفي أن افهم ما يدور من حولي وما أوقعت نفسي فيه .. فسألت مضطربا !

_الحكومة يعني !

_حكومة إيه يا يونس , الحكومة دي مرمطون مثلنا , عليا دي من اللي فوق خالص , ناس كده تحب الانبساط , والفلوس برده .

_عارف يا واد يا يونس موضوع الإرهاب ده مصلحة , ربك ما يظلم أحد أصله , ضربهم ف بعض وفتح لنا سكك , خلي الغلابة تنبسط , كفياهم غم .

لا استطيع تمالك نفسي حين فهمت ماذا يقصد , وشعرت بوطنية غريبة لم اعتدها نضحت مني أفلتها لساني لأنني لن أتحملها كثيرا بالطبع !

_وأمريكا اللي قالبه الدنيا دي , وركبتنا خالص يا معلم .

_ماله الركوب , إحنا نتضايق طول ما الركوب ضدنا , لكن هو الآن مثل ركوب المرأة لما لا مؤاخذة تأخذها الجلالة وتركب فوق جوزها , ف الوقت ده بتبسط وتنبسط , عايزين إيه اكتر من كده !

تتسع عيني وتدلى شفاهي , لم اعلم أن هذا الرجل الجاهل يفهم الحياة هكذا , يرى ابتسامتي , يربت على كتفي , ثم يخرج رزمة من المال يعطيها لي ثم بنظرة لئيمة يخبرني ..

_أنت لازم تتجوز يا يونس , الجواز يقوي القلب , لما تطل ف عين مراتك ها تفهم الدنيا بجد , الست مفتاح الدنيا ربنا خلقها كده ... سبحانه .

اضحك واخذ الفلوس ثم اذهب ريثما يجلس المعلم مكانه وهو يردد .

_قال أمريكا ركبت , ده لسه الركوب جاي يا عبيط ...

يضحك بصوت عالي فتدوي ضحكاته في فضاء البيت الواسع الوحيد في ذلك المكان المخيف ..

في طريقي عائدا وقد أمسكت الشال في يدي , لم احتج الآن إلى التخفي , لا عجب أن يفهم هذا الرجل الدنيا لهذا الحد , لقد تزوج أكثر من سبع مرات وكل امرأة تفوق الأخرى جمالا وأنوثة , ربما كان محقا حين طلب مني الزواج .

حسين العدوى

لم يصبرني شيء على هذه الحياة سوى الخروج من البيت , لم يصيبني تغيير منذ ذلك اليوم سوى الشعيرات البيضاء و العكاز الذي أصبح رفيقي الوحيد , اذهب دون وجهة ولا سبب , فقط أريد أن أرى وجوها , أية وجوه عدا أسرتي , وجوه تذكرني ب حسين الذي كان لا يعرف في حياته سوى عربته الصغيرة , نعم يراه الجميع عمل قذر , لكنه ارتبط بي , ما المشين في أن ترتبط بأي شيء طالما لن تؤذي أحدا , أتطلع إلى العيون أجدها باهته , ما أكثر المنقبات والمخمرات الآن , لم أقف أمام الأمر كثيرا , أسير متجاهلا تلك اللافتات التي تغطي اغلب الحوائط , أقف عند بائع لم أره منذ زمن , هو أيضا كسا شعره البياض , ذلك الشعر الذي كان يُعد ميزته الوحيدة هو وشاربه الكث , الشعر الكثيف الناعم , القلم المختبئ خلف أذنه , ما يدفعني للسخرية منه (أنت كان نفسك تبقى نجار يا عزمي ولا إيه) , أقف أمامه صامتا حتى ترتفع عيناه التي كنا نسميها عين الثعلب , فيرحب بي ..

_فينك يا عم حسين مش باين يعني ؟

_أدينا نغيب ونرجع , طالما ب نشتاق لازم نرجع , لحد ما يكتفونا وقتها لا ها يبقى في شوق ولا ينفع رجوع .

_شكلها خربانة معك ع الأخر اسحب كرسي واقعد نتكلم حبه .

لم استجب وكأني لم اسمع شيئا , فقط أتابعه بحركته السريعة والدقيقة وسط دكانه الصغير , الأماكن الصغيرة اقل الأشياء تزحمها , لكنه وسط كل هذا الزحام يتذكر مكان كل شيء , منصة المحل التي تحوي الأشياء الكثيرة , التي يقف الأطفال كثيرا حتى يهتدوا إلى ما يريدون , اتعب من الوقوف فأولي ظهري له , اعلم انه يتعجب لتبدل حالي , معذور هو كما نحن جميعا , فنحن لا نعلم عن بعضنا البعض سوى القشور , التي نظنها أحيانا كل شيء !

أكمل طريقي باحثا عن تلك العيون التي تغسل روحي , عيون جائعة فقط إلى الحب , أو على الأقل ترغب في وهب القليل منه , الحب الذي بخل به علي اقرب الناس إلي , وان لم أجد ذلك فيكفيني الهاء الوجوه وهمومها عن همي , هذا ما يجعلني أعود إلى بيتي منهكا لا أريد سوى سرير تلك المرأة التي لعنتني , حتى أغط في نوم أتمناه دوما أن يكون موتا !

الآن وبعد أن تلقفتنا أم بدر من بئر الحنين الذي سقطنا فيه , أخبرتنا بالأمر .. يبدو أنها لم تكن غارقة في الحنين مثلنا , دائما تقع في منتصف الأشياء ..

ترك الأمر اثرا مختلفا على كل منا , منا من انطلق مبتهجا كي يستعد لهذا الشيء التي سوف يختبره لأول مرة في حياته ..

وبعض آخر استنكر الأمر وقال بلا مرقعة وقلة أدب .. أما أنا مكثت مكاني للحظات لا أعلم هل علي أن أفرح أم يزيد ذلك همي , لم أكن وحدي من أحمل هذا الهم , شاركتني اياه أختي التي نتشارك معا أشياء كثيرة , أهمها أحوال أزواجنا الغريبة .. سرنا نجر خيبتنا التي اثقلت خطواتنا ونحن عائدات إلى بيوتنا ..

نحن من سقطنا سهوا في تلك الرواية كما في الواقع , لا نهوى الثرثرة لأنها تكمن بداخلنا حتى تقودنا إلى الجنون , لذا نأتي دائما على ذكر الأشياء , نأتي ونرحل ... مرور الكرام !

يبدو أن سعيد ومنصور من رددها

وهل خُلقنا في هذه الدنيا للخروج والمرقعة وليعاذ بالله , أخبرتها كثيرا اعملي لأخرتك يا أم البنات , ماذا ستجني إذا ذهبتِ إلى البحر بالله عليكِ ..

من أحاديث منصور مع زوجته الذي يملها الجميع عداه

شيرين منصور عبد القوي

تبدلت ملامحه بل وحياته كلها منذ أن ارتدى ذلك الجلباب بدلا عن القميص و البنطلون , وذقنه الكثيفة التي جعلت ملامحه أكثر صرامة من ذي قبل , يجلس بجوار الراديو ممسكا بمسبحة في يده يمرر حباتها بين أصابعه , تحدجه أمي القادمة نحوه وهي تميل بصينية الشاي عليه , يأخذ كوبه وينظر إليها ,فتولي و

وجهها , يضع الكوب جوار الراديو فوق المنضدة , ثم يمسك يدها ويحدثها وهي تهم بالابتعاد .

_طب ما يضايقكِ الآن ؟

_كان ها يحصل إيه يا منصور لو روحنا معهم , ما هم مؤمنين برده , ولا اللي يعوز يفرح ف الزمان ده يبقى كفر !

بعد أن استغفر وحاول أن يتماسك رد قائلا ..

_يا أم هبه ما تخلي شيطانك يغلبك وقت الغضب , محنا طول عمرنا عايشين ولا كنا نعرف مصيف ولا غيره , هو كل حد يطلع بدعه نمشي خلفها ؟

_بدعة !

_أنا أصلا ما أقدر على زعلك وعارف انك نفسك تخرجي , إيه رأيك يوم الجمعة أخذك أنتي والبنات ونطلع ع الحسين .

تتسع عيناها بغضب مكتوم ثم تنهض كمن لدغه شيئا , أمسك كوبه , أعاد أذنيه إلى الراديو , , ثم أغلقه و مد يده ليفتح الدرج الموجود أسفل الكاسيت , يكشف له الدرج عن عددا من شرائط الكاسيت , يقلب فيها حتى يمسك أحدهم عن عذاب القبر , ثم يضعه في الكاسيت وينكمش ويستعد لسماع ما يحفظه عن ظهر قلب !

أحيانا يحيرني أمره , هل ابغضه لتحريمه علينا كل شيء , أم أتعاطف معه لأنه يخشى كل شيء , أيعقل أن هذا هو الشاب الذي أخبرتني أمي انه كان يغني في الأفراح وينشر البهجة , كيف يغيرنا الزمان بهذا الشكل .. عند هذه الجملة أعود للمذاكرة هذا الشيء الذي لم أحبه يوما , لكنه أهون من شغل البيت , اجلس بجوار أبي أتابعه وهو يظن أنني أذاكر !

وهل توجد مرارة أكثر من تلك التي يخلفها الانكسار , أن يجردوك من كل شيء وما عليك سوى الاستكانة ... أية حياة سوف تحييها بعد ذلك , سوى أن تكون حطام إنسان !

قالها الدودّ متشبثا بدموعه في مقلتيه ثم فر هاربا من مواجهة صديق عمره

سعيد الحلو

هذا الدودّ الذي تكاد تجزم أنه لا ينام ولا يمس جسده السرير من فرط حماسه وحركته الزائدة , ترى الأمر غريبا حين تراه نائما وتفلت من عيناه نظرة مليئة بالانكسار حاول جاهدا أن يخفيها , فاردا ظهره مباعدا ما بين ساقيه , يتفادى النظر إلي وأنا أجلس إلى جواره على حافة السرير , كلما لمست جزءا من جسده تألم , فيعود لانكماشه والرعب يسكن عيناه , أود أن اسأله ما أو من فعل به هذا .. من يجرؤ على فعل ذلك , لكنني لا أريد أن أثقل عليه بالأسئلة , يكفيه تلك الآلام , ومن يعلم .. ما خفي في النفس ألمه يصل إلى أين ؟

أظل على وضعي صامتا ارتشف الشاي واختلس النظر , لا أود أن يشعر بنظراتي , أضع الكوب فوق تلك الدائرة التي صنعها من قبل فوق الصينية , تمتد يدي كي تربت عليه مهونة , لكنني أتراجع , ارحل مودعا إياه بإشارة من يدي .

في مكاننا الذي عرفنا به وعرف بنا , لكن ليس كعادتنا , ساهمان , حتى يتحدث الدودّ كمن يحدث نفسه , يهمس لها ..

_أول مره أحس إني صغير وعاجز كده .

اعلم الآن أن ما سمعته من زوجتي صحيحا , فأحاديث النساء رغم امتلاءها بكل العيوب إلا إنها تخبرك الحقيقة ولو بين السطور ..

الحكومة تعاملنا على أننا بني ادمين درجة ثانية يا صاحبي , كيف لك أن تتخيل أنهم سيتجاوزون عن مجابهتك لهم , هكذا حدثت نفسي , لكنني أريد أن أهون عليه دون أن يعلم معرفتي بالأمر .., فأحاول ممازحته كما نفعل دوما .

_منذ متى يا صاحبي نطأطئ للدنيا مهما عملت فينا , حتى لو خدنا قلم ولا اتكعبلنا ها نقف ثاني , لازم نقف ثاني .

فيجيبني بمرارة لم اعتدها منه , حتى أن عيناي جحظت حتى أتأكد , هذا هو (الدودّ) أم شخص آخر لا يشبهه في شيء !

_انك تبقى عاجز ترد المهانة , و اللي يضربك كف ما تقدر تناوله عشرة , ده موت يا سعيد .

_أنسى يا دودّ , ده الله يكون في عون نسيبي بقى يا جدع .

حاولت أن أتراجع عن تلك الجملة الأخيرة التي ربما يشعر منها بأنني عرفت حاله , لكنه ليس هذا ما يفكر به الآن , ألمه أغمض عيناه عن كل شيء , حتى هدأ و أكمل كلامه ..

_تعرف إني أما جربت عذرته , دي حاجه تسلبك روحك وعقلك , كأنهم يريدون موتك وأنت حي , كله بالقانون يا صاحبي .

_مش لائق عليك النكد يا دودّ ده تخصص عفاف , ها نلعب دور دومينو ولا أروح لها ؟

_كله إلا عفاف , يلا يا عم نلعب وأخسرك وأترك النكد عليها .

منى يوسف

أغالب خوفي واقترب منه , هيئته لا تعطي أية فكرة , أجالس أم نائم , فضلت أن اجلس على مسافة منه , فقط أتأمله , ما الذي بدله إلى هذا الحد , الجسد كما هو , لكن الروح غائبة , عيون باهته لا توحي بشيء , يستجيب لأي طلب دون أن ينطق بكلمة .

ادخل و أفك الفوطة عن شعري المبتل الذي ترسم خصلاته السوداء خطوطا من المياه فوق الجلباب الضيق التي ارتده فيشف جسدي.

اعلق الفوطة فوق الشماعة الخشبية بجوار الدولاب , ثم أخذ فرشاة الشعر واجلس بقربهما , أريد أن افتح مجالا للحديث يمحى نظرة الدهشة التي تكسو عينا شيماء , وتحديقها المستمر بابيها , مما يثير حنقه .

هذا من أبشع الأشياء التي تحدث , حين يخرج عن صمته المميت هذا فأخرجها من بين يديه وهي على حافة الموت . لذا حين نصل إلى ذلك أشير إليها بالانصراف إلى غرفتها , تتذمر , فأرمقها بنظرة تستجيب بعدها على مضض .

تعبنا التفكير في ماذا أصابه وغيره إلى هذا الحد , ماذا فعلوا به هؤلاء الذين يدعون بالبشر , هل يجب أن تعرضه على طبيب مثلما اخبرني أخيه عامر , يبدو أن ذلك الخيار الوحيد , اقترب منه حتى التصق به وأميل بشعري على وجهه فلا يتحرك , يصيبني اليأس ف أمشط شعري الذي نسيت هل مشطته من قبل أم لا ..

اعتلي السرير , أنام على جانبي الأيمن مولية ظهري له وقد رفعت قميصي بعض الشيء , أترقب هل سينظر ولو بالخطأ , لكن هذا كله بلا فائدة , أغلق النور كي ننم وبعد أن استكين إلى النوم , أجد النور يملئ الغرفة من جديد وهو مكانه بنظرته الساهمة المحدقة على اتساعها إلى الفراغ .

عفاف يوسف

ألح عليها كي تشاركني الزاد , تطيعني وتجلس وتمسك الرغيف , تأخذ وقتا تحاول أن توهمني أنها تقطع منه قضمة واحده ,لا يخيل ذلك علي , عيناي لا تفارقها , أطلق زفرة ضيق من حالها وعليه , ثم أحدثها بلين ..

_يا حبيبتي ما هو ده مش حل .

_منصور أتبدل يا عفاف , بقى يا حبة عيني زي الطيف ما تعرفي إذا كان موجود ولا لا .

_ يا أختي منها لله الحكومة دي , والنبي دول لا يمكن يكونوا مسلمين ولا بني ادمين حتى .

_منكسر يا نضري , إن شاء لله يذوقوا الكسرة دي , بس من يكسرهم دول .

_ربك . ربك عادل وما يرضى بكده أبدا .

_يا رب يا عفاف .

طب كلي لقمة عشان خاطري طاوعيني وأنا أشغلك فيلم أحلام هند وكاميليا , لسه نفسك تروحي إسكندرية يا بت ؟

تضحك فأدس لها قطعة اللحم في فمها .

سعيد الحلو

نرفع أقدامنا على حافة عتبة المقهى , أقدام حافية لا تأبه لشيء , بعدما اقفل الدوّد الطاولة التي خسرت فيها للمرة التي لا ادري ما عددها , يضحك الدودّ والوي وأمتعض أنا , ثم أراوغ واخبره أنني لا أحب تلك اللعبة , فقط العبها من اجله , يعلم أنها حقيقة وليست مراوغة , لكنه يحب أن يبتهج حين ينتصر علي ويرى وجهي الذي يشبهه دائما بالأطفال , ثم يخبرني انه لن يغرمني ثمن المشروبات , سيدفعها هو هذه المرة , أكاد اقفز فرحا واخبره بان من سيفرح بذلك أكثر مني هي عفاف , اقله سأحضر لها طبق الحلوى التي تحبه , يمسك يدي ويضغط عليها فيفزعني حاله , نقف ثم يستند علي بقوة ويكاد يسقط مني , لكنه (الدودّ) المكابر في كل شيء , يسيطر على ألمه ويستفيق , وينظر إلى وجه صديق عمره الذي بدله الفزع فيبتسم ويخبطني على كتفي برفق .

_يا واد ما فيش حاجه , حبة تعب وها يروحوا لحالهم .

لم ابتسم مازال الفزع يتملكني , عينا صديقي التي لم تكذب علي يوما تخبرني بالحقيقة , هناك خطب ما , فأخبره مازحا ومخففا .

_طب عشان اصدق تعالي نمشي في الحواري زي زمان وتغني لي المواويل اللي بنحبها .

يهز رأسه أن نعم ثم نبتسم ونسير معا , يمسك ببطنه من وقت لأخر , وأنا أحاول جاهدا أن أطمئنه ونفسي .

حسين العدوى

اجلس على حافة السرير مستندا على عكازي بينما أتعجب لحال نعمة التي تحولت للحاجة نعمة , وهذا دون أن تركع مرة واحدة طول حياتها , وبالطبع لم تذهب إلى بيت الله , هذا اللقب تقديرا لأنها أم يونس وحنان , وربما تقديرا لما ترتدي من ذهب , الآن تخلت عن حلق أم احمد , ترتدي عباءة سمراء مطرزة والحلق المخرطة الذي يسحب أذنها للأسفل , وتلك آلما شاء الله التي تجثم على صدرها بلا أي ضرر , يكفي وصفا لصاغتها , فهذا أمر ممل ومحبط أيضا .

تضع أمامي صينية الطعام على السرير وترمقني بنظرة لا اكترث لها , لقد زهدت عيناها منذ زمن , منذ رحلت روح نعمة التي أحببتها , تحدثني غير مكترثة بي , بل بتلك الأطباق التي تكشف عنها .

_مش ناوي تروح البيت الثاني بقى , أنا تعبت من مجيب الأكل دي كل يوم !

انظر إليها ساخرا , فتعوج فمها ثم تمسك طرف عباءتها وتتحرك في دلال وتنصرف .

_فوتك بعافية .

يا لتلك الجملة حين تخرج من شخص ظننته يوما كل ما تملك , تتحول الكلمات بينكم إلى رصاصات طائشة .

أسير ب قدمان يحملاني تارة ويخذلاني عشر , لكنني أتحامل وأقاوح , حتى تنتهي رحلتي عند دكان عزمي الذي أشفق على حالي , مما دفعه وهذا نادرا ما يحدث , أن يرفع ذلك الرف الخشبي , الذي يعد بوابته للدخول والخروج إلى الدكان , تظن انه يقفز ويعتلي تلك المصطبة كلما أراد الدخول أو الخروج , ولكن كيف وهي مليئة بكل هذا , حتما هذا حل أسهل وأسرع .

دسست يدي في جيبي وأخرجت له كيس اسود منتفخ بعض الشيء وأعطيته إياه ..

_دول لزوم خروجي من الدنيا يا عزمي , أمانة عليك عيالي ما يدفعوا شلن .

تفزع ملامح عزمي وحاول أن ينطق كي أتراجع عن رأيي , لكنني أفهمته انه قرار لن ارجع فيه , أعطيته ظهري مطمئنا لما قررت , وان حملي أصبح فوق صدر شخص آخر , لن اضطر الآن إلى التفكير في شيء , فقط أسير حتى تأتي ساعتي , ذلك السير الذي جعلني نوعا خاصا ليس بالميت ولا الحي , شخص تنحي جانبا وسط حلبة سباق وفضل أن يشاهد الجميع , فقط يشاهد دون تشجيع أو تأثر , أليست متعة يفتقدها الكثيرون من الأحياء !

حين يسير أيا منا بجوار دكان أم بدر يتذكر ذلك اليوم , تلك الرحلة التي دبر لها يونس لم تتم حينها , اضطراب المفاجأة أفسد الأمر , لذا أجلها يونس يبدو أنه يريد بهجة ينالها الكل , وربما يريد أن يرى نفسه صاحب خير على هذه الحارة التي لم تعترف بهم يوما , لكن ما يهمنا جميعا نسوة الحارة على وجه الخصوص , أن ما زال أمامنا فرصة كي نذهب إلى هذا المكان ونغسل همومنا .

الفصل الثالث

(الرأس)

تظل تبحث عن الشيء وتفني عمرك من اجله حتى تصل إليه , ثم تتمنى إعادة الكرة من جديد , هل لنا بتلك الإعادة ؟ أم هذا متاح في الخيال فقط . أن تصل إلى رأس الأشياء ومعناها وعمقها يعني انك فقدتها هي نفسها , ليس الرأس مبتغى الأشياء بل منتهاها , وها نحن وصلنا إلى منتهى الحكايات ..

الجيل الثالث (الأبناء)

(قال يا ليل أولك إيه قال نهار , ولحظة شروق كالانتصار , وجايز تلاقيه انتحار , لو لا مؤاخذه الهم زار)

حين يريد منعم أن يتشبه بالمقولات التي حفظها عن تراثه الصعيدي ويبتهج عندما يرددها على مسمع سعاد ويراها فخورة به

سعاد حماد

أتنقل بين المشنات أملأ هذه بالكوسة وأظهر أحلى ما في الباذنجان , استجيب للأيادي الممدودة التي تطلب أحيانا (الباقوطي) وان لم يوجد فيحل محله الكيس البلاستيك , وهناك من تمد يدها لكي تضعه على الميزان , وآخرهن من تمتد يدها لتدفع ثمن ما أخذته , تسئم رضا ذلك الدور فتتركه لي وحين نسئم وخاصة أنا حين اشرد أن كل هذا ملك لي وتحت إمارتي , هذا أمر أرى حدوثه مسألة وقت ولن اهدأ حتى يحدث , أما الآن اشعر بالتعب ليس من العمل بل من تلك الخيالات حين تحاصرني , فأترك المهمة لصاحبة المحل , رغم كون المحل فارغا , لا اعلم غيتها في أن تنثر المشنات وتظل صاحبة فرشة وليست محل , امرأة عجيبة , تلك التي تفترش الأرض وحولها هذه الأشياء , امرأة ليست ضخمة الجسد لكنها تبث في نفسك شيئا من الرعب , ربما السبب في ذلك تلك الشامة على خدها التي تعد أثرا لجرح ما , وطفلتها التي تأتي متى شاءت وتُخرج ثديها لترضع إذا كان بالداخل أصلا .

تجاورها رضا وإحدى النساء يجلسن فوق أقفاص خشبية أو يفرشن قطعة من الكرتون , يجهزن الباذنجان , وتميل كل منهما على الأخرى تحدثها وتضحك , هذا طبع (فريدة) بائعة الجبن التي تساعدها في شغلها هذا وتؤنسها أيضا , صحيح إن لسانها فالت لكن دمها خفيف , تهش بيدها الذباب الذي يلتف حول الجبن القريش فتخرج البلاستيك الشفاف من تحت فخذها وتغطيه .

تمتد يد امرأة بالمال وتحاول أن تفاصل , فتأخذ منها (هنيه) حاجياتها وتفرغها في المشنة , تغضب المرأة وتيأس من استرداده حتى بالسعر التي طلبته تلك المرأة القوية , فحين تقرر شيئا لن يمنعها عنه أحد , أظل جالسة بجوار رضا وفريدة استمع إلى حديثهن وأشاركهن الضحكات وأنا أتناول ساندويتش الطعمية , هنا في السوق لا تستطيع أن تغض بصرك عن كل ما حولك , فكل شيء يجتذب عيناك ويكاد يقتلعها فضولا , هذا الرجل ذا الوجه السمح , ونظراته الحائرة بين الأشياء تجعل هنيه تهم لمساعدته .

_عايز إيه يابا ؟

ما يكاد ينطق حتى يتم دفعه بواسطة فتى لا يرتدي سوى بنطالا , هل يبتهجون بالخناق إلى هذا الحد حتى يتخلون عن ملابسهم عند أول كلمة , أم بداخلهم غضب ما لم يخرجه سوى هذا العنف .

يأتي خلفه بعض الشباب , يقع بسببهم مشنات الخضار , مما يستفز تلك المرأة وتعتبر حالها طرفا في هذه المشاجرة , حينئذ تضع رضا ما قامت بإنهائه في كيس وتحكم غلقه وتنطلق عائدة إلى بيتها ,وأنا في إثرها , نعم أننا لسنا بهذا الضعف , لكننا لن ندخل أنفسنا فيما لا يعنينا , الأمر سيهدأ سريعا , لن يضر أن نجلس أمام المنزل , تكمل هي ما تفعله , وأنا أشاركها بعض الونس , ثم أشوف حالي .

منيرة مليجي

لست من هواة الصحو المبكر , والتسوق كهؤلاء النسوة اللاتي لا اعلم من أين أتين بتلك الطاقة , حتى يفعلن كل شيء بنفس الحماس والشغف , غريب شعور الكائنات الليلة بالنهار , تراه شيئا ينفخ الروح في ذلك المكان المظلم التي تفضي إليه الحارة , يتراص البشر حول المناضد المليئة بالخضروات , كالذباب الملتف حول قطعة حلوى , كل شيء يتم في روتينية لا يكسرها سوى الأصوات التي اندفعت فجأة , مما يفرق هؤلاء الذباب مكتفيا بما حصل عليه اليوم ويتوقف بعيدا ليشاهد ما يحدث ..

تلك الساحة المغلقة على أصحابها , وسط المناضد الخشبية المكتسية بلون التراب , بعضهم قد فتح الله عليه , ووضع مظلة كبيرة تحميه قيظ الصيف وأمطار الشتاء , والبعض الأخر مكشوفا للعراء.

هذا رغم سوء حظه مع الشمس التي تأكل رأسه , لكنه يحمي نفسه بذلك الشال الذي يلفه حول رأسه إن كان رجلا , وتلك الطرحة إن كانت امرأة , يصبح دون المظلة اخف حملا في مثل هذه الأوقات , حين تصعب الأمور يأخذ ما لديه ويختبئ في أية حارة من الحارات التي تتفرع من الساحة , تعلو أصوات النساء اللاتي يولولن ويهرولن هنا وهناك , وبعض الرجال الذين يحاولون التدخل للصلح وربما المشاهدة , لكن من الذي يستطيع التدخل في خناقة مثل هذه !

عائلة الحسيني يتشاجرون مع حنفي بائع الخضار وللتفاصيل الأكثر دقة نسوة هؤلاء مع نسوة أولئك , الجميع يعرف امرأة حنفي وبناته جيدا , بنات لم يأخذن من تاء التأنيث سوى مساحيق التجميل المتوفرة على وجوههن بكثرة والعباءة التي تكاد تتفتق على أجسادهن .

أخيهن الوحيد وريث حنفي ف مثل هذا النوع لا يجوز أن يندثر , صعيدي غاضب أغلب الوقت وعائلته أيضا , يثيرهم أحيانا مجرد الابتسام , وعلى الجانب الأخر ف عائلة الحسيني بها شباب كثر لكن والحق يقال في حالهم فيما عدا هذا الشاب الصغير الذي لم يصل للعشرين بعد , أصابه العمى على ما أظن وغازل ابنة حنفي . هل يجرؤ على هذا الفعل كلب أجرب حتى يجرؤ عليه هذا الفتى !

أصبحت الخناقة ممتدة من السوق وحتى أخر حارة التعبان حيث تسكن عائلة حنفي , وهذا لأن سيد ابن حنفي حين وجد عابد ابن الحسيني يلوح له مهددا ب خنجر يرفعه في وجهه , فهذا يعني أنه يراه أقل من أن يواجهه وان عليه أن يحضر تلك (السنجة) التي طالما خبأتها أمه منه .

كنت قد دلفت إلى الحارة وتراجعت عن أمر التسوق هذا , حين انسل (سيد) من بين أيادي هؤلاء الذين يحاولون تهدئته , ثم اجتاز كل منا باب بيته , سبقته إلى شرفتي التي تطل على

سطوحهم كي أتابع بقية ما يجري , وصل إلى السطح مارا ببعض الطيور التي علا صوتها ترحيبا به لكنه رآها سخرية منه فأخذ يذكر والدته بكل خير لكن هذا الخير خرج منه لا يخلو من بعض الإباحة , نظر من الأعلى فوجد الحارة ونوافذها المليئة بالمتابعين , وجدت عيناه تذهب إلى شيئا بعيدا مما دفعني إلى النظر في نفس الاتجاه حتى وجدت (عابد) والرجال الملتفين حوله محاولين تهدئته , وعلى الجهة الأخرى وجدتها , اشعر أن نظراتي وإياه كانت تنضح نفس الدهشة بل يزيد عنده طيف ابتسامة تعني أن هناك من أتى لنجدته ...

تتدخل للصلح وقد قامت عن كرسيها الست أم بدر وهذا فعل ليس بالقليل ف تلك أم بدر !

امرأة في عقدها الخامس ترتدي جلباب متهالك , تخبئ شعرها بمنديل صغير فوقه طرحة سمراء شيفون مسدلة على كتفيها كثيرا ما تسقط وتستقر حول رقبتها المترهلة ,هذه الطرحة التي تنسى متى اشترتها .

دائما تردد بأنه , تراودها لقطات بأنها ربما شحذتها من سميحة بائعة الخضرة منذ زمن , أين ذهبت تلك المرأة العجوز , هكذا يمتلئ عقلها بالحكايات والبشر , تلك النظارة السميكة التي تنظر عبرها إلى الطريق كمن لا يهمه الأمر في حين أنها تدري بكل شيء حولها وان لم يعنيها فقط من باب العلم بالشيء ,وربما تساعدها أحيانا في إخفاء ما تشعر به والدمعة التي رغم حزنها الكبير لم يراها أحدا قط .

امرأة سمينه نادرا ما تراها واقفة , جلوسها على الكرسي من ضمن عادتها , تشعر وكأنه مرافق لها كنظارتها , طرحتها الشيفون , صوتها قليلا ما تسمعه فهي مستمعة جيده , ربما هذا هو سر حب الجميع لها واحترامهم إياها , فماذا نريد من هذه الدنيا سوى مستمع لا يمل يحنو بنظراته إذا عاندته الكلمات , دائمة الجلوس على كرسيها أمام الدكان المظلم ذاك , تُنسيك إن كان لها منزل أم لا , يُريبك أمر هذا الدكان , ولكن حاذر من التفكير في هويته , وماذا يُفعل بداخله , هذه الأسئلة ليست من حق الجميع وربما ليست من حق أحد .

المرأة التي يكفي أن تقوم عن كرسيها حتى تنفض الخناقة فما بالك إذا اقتربت وهمست لأحدهم أو نظرت إليه , بالفعل حدث ما آملة هذا الصبي ..

حنفي ينكس رأسه هذا الذي لم يفعلها لخالقه يفعلها لأجلها . أمسكت بطرف أصابعها ابن الحسيني ذاك وأبعدته بجسده العاري , جميعهم هدأ حتى ذلك الذي لم ينجح في إيجاد السنجة , وجد أن هذا التصالح ينصفه .

أرى السوق قد سكن وعادت حركة البيع وانفضت النوافذ والشرفات من المتلصصين , أم بدر أعطت كرسيها زفرة هواء ثم كتمت أنفاسه من جديد , هكذا عاد كل شيء كما عهده السابق ,

فكرت أن انزل مرة أخرى , لكن يبدو أن هذا التطفل أرهقني , غير أن ندى على وصول , فلنقضِ اليوم بأي شيء ..

عفاف يوسف

اخرج إلى النافذة واجد بعض الرجال يلتفون قرب ناصية (أم بدر) لا اعلم متى أسميناها كذلك , لكنها صارت عادة , فأفهم انه ولا بد أن يكون شيئا قد حدث , ليس عجبا أنني لم اسمع , وربما سمعت ولم اكترث , فاعتياد مثل هذه الأشياء جعل عقلي يمررها كالكرام ,أنادي ابني الذي لا يمل الحارة ولا لعب الكرة .

_واد يا محمود .

ينفخ الفتي ذو العشرة أعوام وهو يركل الكره إلى صاحبه , فأناديه مره أخرى بصوت أعلى .

_أنت يا وله .

يستشيط غضبا بينما ينظر إلى أصحابه الكاتمين ضحكاتهم ثم يلف رأسه تجاهي فيجدني وقد دليت نصفي من سور الشرفة امسك بيد الحجاب وبالأخرى الحبل المربوط في أخره السبت الذي استقر عنده .

_هات صابون وسلك ,و نادي أبوك عشان الغداء.

ممتعضا يأخذ الفلوس دون أن ينظر لي , أناديه مسرعة .

_وأوعى تنسى تجيب باكو شاي ..

أقف مكاني , ابتسم ل هذه وامتعض لرؤية تلك , واستمع إلى بعض الحكايات التي تخص الخناقة دون اكتراث , فقط أتابع هذا الشقي , فأنا اعلم ما أن ادخل حتى يعود إلى اللعب ولن يفعل شيئا مما طلبته , يتوقف رفاقه عن اللعب ويلحق به أحدهم .

_يعني مش ها تلعب يا حوده .

_لا ها ألعب يا عم أنا ها أجيب لها الحاجة وأنادي ل أبويا من ع القهوة وراجع .

اضحك من تصرفات وقول هذا الفتى , لم يقترب من الخامسة عشر , لكنني أراه رجلا نافرا يذكرني بابيه , الذي لا اعلم إلى أين تركته وذهبت تلك الروح !

سعيد الحلو

مقهى من الطراز القديم , الكراسي الخشب الصغيرة التي ربما لن تراها سوى في مثل هذه المقاهي العتيقة ,مناضد حديدية صغيرة , بلاط الأرضية سودته الأيام , وذلك الساتر الذي يقف خلفه الصبي العشريني , يرتدي قميصا يبدو انه كان ابيض يوما ما , يده تتحرك بخفة وسرعة بين الأكواب والمياه والنار , حتى يأتي إليه صاحب القهوة يأخذ صينية ويترك الأخرى فارغة , وبين ذهاب وإياب يعلو صوته طالبا شيئا ما من ذاك الصبي.

منضدة يجلس حولها ثلاثة شباب , كل منهم يمسك هاتف , لا تفارق عيناه شاشته المضيئة الصماء عدا تلك الأصوات القصيرة التي تؤذن بوصول رسالة أو شيئا ما , يمد كل منهم يده ممسكا بالكوب الذي أمامه يقربه من فمه ويرتشف ببطء ثم يعيده في حركة اعتيادية .

اجلس على المنضدة التي تجاورهم , انظر إلى المنضدة والكرسي الفارغ إلى جواري , امسك كوب الشيء وما أكاد ارتشف منه شيئا , حتى يلفت انتباهي أن الكرسي الفارغ ليس أمامه كوب مثله , امتعض ويعلو صوتي .

عم فخري

يأتيني الرجل مهرولا ..

_ها أجيبه لك حالا . حقك عليه .

تسكن ثورتي , أعود ل كمدي وأطيل نظري إلى الكرسي ..ثم ابتسم

_حمار فخري ده , لا أعرف كنت غاوي قهوته ليه !

يأتي رجل يلقي السلام ثم يهم بالجلوس على الكرسي , امسك بخناقه وأهم الكمه في وجهه , فيأتي القهوجي سريعا ,يمسك الرجل ويأخذه بعيدا , أستريح من جديد , ثم أتحسس المقعد الآخر وقد كسا وجهي الشجن .

_لا تؤاخذه . ما يعرفك .... هو أنت في حد ما يعرفك يا دودّ!

اضحك وانا احتسي الشاي وتلعب يدي الأخرى بأحجار الدومينو الذي آتى به القهوجي إرضاء لي .

_مفكرين إني مجنون يا دود . مجنون يا صاحبي.

أجد أني لا استطيع التحكم بنفسي , وأنا لم اعتد أن يرى احد دموعي , أنادي القهوجي , أعطيه الحساب ثم القي التحية على الكرسي و امشي .

يقابلني محمود عند ناصية الحارة بعد أن وضع لأمه ما طلبته في السبت , ما زالت ترفع الحبل وتنظر إليه , يفرح حين يراني ثم ينظر إلى أمه , يشير علي كي تراني وتعلم أن مهمته انتهت . تحدجه بنظرة يفهمها جيدا وان كانت من مسافة أربع أدوار فيتبعني مشيرا للبقية بأنه سينضم إليهم قريبا ولا يخلو فمه من بعض البرطمة . يتجاوز السلم مارا بشقة ندى الشابة ذات الوجه البريء فيجد فمه يبتسم رغما عنه.

ما أن تفلت مني تلك الذكرى حتى أردها سريعا وأتشبث بها وأراها سبب نجدتنا , ذلك اليوم الذي ألقيت ب شرائط أبي بعيدا حتى يعود كما كان ..

شيماء منصور عبد القوي

منى يوسف

المح الطابور فأصاب بالذعر لكنني مرغمة على المواصلة والسير نحوه والسؤال عن أخر من في الطابور كي اعرف دوري ,بعدها أعود مبتسمة إلى زوجي هذا الرجل ذا الملامح الساهمة , رأسه تلمع تحت تلك الشعيرات القليلة الناعمة , اجلس إلى جواره محاولة أن افتح حديث .

_كنت بتحايل عليك تخرجني , أديني نولت اللي ف بالي وخرجت .

لم يكترث لكلماتي يعود برأسه إلى الوراء ليسندها على الحائط الرخامي ويغمض عينيه , اخلع عن قدمه الشبشب وامدد رجله على الدّكة الحديدية التي من حسن حظنا , لا يجلس عليها سوانا , اسند رأسه على فخذي , واضع الكيس الذي يحوي الأوراق والإشاعات تحت إبطي ثم أضع يدي تحت خدي وأهيم في النظر إلى البشر .

أرى امرأة ترتدي جيب قصيرة ,وبادي حمالات , شعرها أشقر , هذا كله يجعلني أظن أنها أجنبية لكنني استرق السمع فالقط بعض الكلمات العربية , فاشهق .

_الحق يا منصور الولية لابسة إيه ! وليه ! ولولوا عليه ساعة وسكتوا .

لا يساعدني على الحديث , لذا أقوم ببطء , امسك برأسه واضع تحتها كيس الأوراق والأشعة حتى لا تؤلم رأسه تلك الألواح المتباعدة ..

ألاحظ أن دوري قد اقترب فأفضل الوقوف ,لقد تعبت من الجلوس والحديث إلى نفسي , انظر إليه مشفقة , ثم التفت للنساء وملامحي تنبسط وتنقبض مما تشمه , كثيرا ما فكرت , من أين يأتون هؤلاء النساء , وكيف لا يعرفن أي شيء عن النظافة هكذا , ألم تتهور إحداهن في مرة وتشم نفسها , بل هل تهورت امرأة وأخبرت الأخرى بان رائحة عرقها لا تحتمل , أو فمها و اثر بول ابنها على ملابسها الذي يجعل الآخرون يرتابون في أمرها , لكن أين هي تلك المرأة التي تتمتع بهذه الشجاعة , ليست أنا بالتأكيد , فانا من مجرد النظر إليهن يدب الخوف في قلبي , فهن إناث منفردات , بهم من العيوب ما لا يعد ولا يحصى , ومع ذلك فقد حاباهم الله بثقة وقوة شخصية تتمناها الكثيرات .

اقترب من الشباك كي اقطع التذكرة , ذلك الوجه الأنثوي العابس , التي لا اعلم ماذا فعلت لها كي تعبس بوجهها , أليس هذا المكان لمن سئموا العبوس , لمن يشحذون الابتسام !

لكن تلك امرأة أخرى من النوع الذي لا يجوز مواجهته بأي عيب فيه , تتبادل أيادينا المال بالتذكرة , أهبها ابتسامة لم تراها تلك المنكفئة على الدفتر .

أخذت التذكرة وهرولت نحو زوجي , كان قد استيقظ وجلس مدلدل ساق تداعب أصابعها الشبشب والأخرى ثناها أسفل فخذه متكئا بمرفقه على الدّكة والذراع الأخر مدلى مع الساق

كأنه يصنع تناغما مع جسده , وماذا يفعل منذ فترة غير ذلك , لقد خاصمته روحه , هل يترك جسده يخاصمه أيضا !

اقترب وامسك بكيس الأشعة كالخائف أن يسرقه أحد , ينهض متكاسلا , اعلم ثقل هذا الأمر عليه فأهونه بابتسامة ويدي التي اشبكها بذراعه كما فعلنا ذات مره أول زواجنا , نسير لننضم إلى صفا أخر لكنه جالسا هذه المرة , أعطي المرأة السمينة التي ترتدي جلباب ابيض أمام غرفة الكشف التذكرة , بالكاد أجد مكانا لزوجي ف اطلب منه أن يجلس ف يحلف أن اجلس أنا .

باب الغرفة مفتوحا انظر من خلاله إلى الأطباء والمرضى , وتلك الغرفة التي توجد في نهاية الطرقة , الذي يخرج منها شاب يسند رجلا في عقده الخامس , يقف أمامنا باحثا عن مكان يجلس فيه , أقوم أنا , اربت على كتف منصور , يتفادى النظر إلى هذا الرجل , سيكون في حالته ومكانه بعد قليل , هذا ما تفعله بهم تلك الجلسات , أنا أيضا المح الدموع التي تشبه الصرخات الصماء , المنهمرة من عيون الرجل , ارتجف وانظر لزوجي بحب لا يلاحظه , فقد ثبت نظره إلى الأعلى ,بعدها امسك بيدي وخب بالسير وأنا أحاول بلا جدوى أن اجذبه إلى مكاننا . ثم استكين وارحل معه .

شيماء منصور عبد القوي

قد يسعد المرء انتهاء وضع كان سببا لتعاسته , لكن كيف يكون الحال حين يتجه بك الأمر إلى الأسوأ , هذا الشخص الذي أخذوه من بين أيادينا , حتما استبدلوه بآخر ..

منذ ذلك اليوم الذي ظننت فيه أن حياتنا بدأت عهدها الجديد , حين حلّق ذراعي الصغير ممدود عن آخره , قاذفا بتلك الشرائط التي تبث الرعب بداخل أبي , نعم كنت طفلة وربما ما زلت في نظر البعض , لكنني على يقين أن الخالق لم يكن ليبث الرعب بداخلنا حتى نهرع إليه تائبين , هذا ما ظننته كابوسنا كان أهون كثيرا مما تلاه ..

ترددت على مسامعي كثيرا كلمة زائر الفجر , وامن الدولة , تخيلت أن تلك الحكايات التي اسمعها بها بعض المبالغة , فهؤلاء مهما بلغ بهم الأمر بشر مثلنا , وبداخلهم شيء اسمه القلب !

حتى أرادني القدر أن أراهم في أبي , في جسده الذي ضمر , وعيناه الزائغة المليئة بالخوف والانكسار , كان ينتفض عند سماعه هذه الشرائط , لكن بعد هذه الليلة التي سلبوه بعدها كل شيء , أصبح ينتفض وان كان نائما , ليس راغبا في شيء , انتظر لحظات ما بعد الفجر حتى أجده غارقا في دموعه لا يشكوا أحدا سوى خالقه , بعدها يحتفظ بكل ما به من الم عنا جميعا , أقف مترددة في كل مرة , هل اقترب واهون عليه الأمر ولو بكلمة ؟

أم أظل هكذا أدعو الله أنا أيضا أن يكون في عونه ويرد إليه روحه التي كانت , روحه التي لم ترتكب ذنبا قط , حتى رأت الحكومة أن ذلك في حد ذاته ذنب !

يقال ولايا يقال صبايا , ولا لينا أبدا ف الدنيا غاية , غير غسيل الهدمتين , و زعل من الحظ بدمعتين , ولو ف مرة حاولنا نشرد ..... يقال بغايا !

الجملة التي تصبر كلا من منى وعفاف على حالهما ..

آخذاها عن أمهما وظلا يرددادها

شيرين منصور

قطعة قماش تسير تحت الماكينة وصوت الإبرة الذي يصيب ندى بالرعب فتفلت يدها في كل مرة ظنا منها أن الإبرة ستنال من يدها , فتمسك بيدها يد أخرى وتثبتها , بالكاد تمسها حتى تطمئن وبالفعل تستمر حتى تنتهي القطعة تحت الماكينة , تصرخ فرحة وتحتضن السيدة التي تقف بجوارها , سيدة ترتدي جلباب قماش ذا كلفة مربعة عند الصدر , وجه بملامح حانية , متى تراها تدفعك الرغبة إلى احتضانها أو البكاء على صدرها , بيتها يعرفه كل بنات الحارة , اذكر قول أمي بأن ما كانت تلبسه كله كان يخرج من تحت يد تلك السيدة , فلم يكن في زمانهم ملابس بيت جاهزة تباع بالقرب منهم , لكن هذا الجيل يأتي لها لغرض ضبط الملابس وربما لتفصيل العباءات وان ندُر ذلك .

تقوم ندى عن الماكينة بعدما تركتها أم شاكر ودلفت إلى المطبخ , نتابع بعضنا بلؤم نعرفه نحن الاثنتان , لا نعرف إذا كنا نكره بعضنا أم هي مجرد غيرة بنات , لكننا نشأنا هكذا , أنا أكبرها بعامين , وها أنا الآن عروس ستغادر الحارة خلال أيام , ربما كان هذا حلمها وتشعر إنني سلبته منها , نرمق أنا وهي صورا كثيرة على الحائط , صورا توضح ماهية أم شاكر التي في كل مرة يذهلنا أنها قبطية , نظل نختلس النظرات , ثم يحاول كلا منا الهاء نفسه في شيء هي في صوت ماكينة الخياطة , وأنا في النظر إلى الملابس وتذكر ما أريده من أم شاكر لكنني لا أريد أن أفوت أمر مضايقتها كما أفعل في كل مرة نتقابل فيها , لكنها هذه المرة خرجت مني لا تخلو من بعض السخافة .

_هو أنتي لسه مصرة على تعليم الخياطة , والنبي يا أختي ده هم وعلى إيه ما مسيرنا للطبخ والغسل .

تخرج أم شاكر على كلمتي فترد هي , ما لها لا اعلم , فهذه طريقتنا التي نتلذذ بها حين ينتصر احدنا ويحرق دم الآخر .

_أهي تتعلم حاجه تنفعها للزمن من يعلم ,واهي أتعلمت وبقت أسطى .

نضحك ثم أضع الملابس الذي أريد ضبطها أمام أم شاكر , حينها أرادت ندى أن تجيب سؤالي وتأخذ نصيبها من اللذة , فأخذت ملابسي وجلست على الماكينة كي تثبت لي أنها تفوقني في شيء .

أصلها الدنيا كده مثل ما ناس للفرح ناس تانيه متنكده , وناس حتى ف عز الفرح تلقاها متشتتة ..

مقولات أم بدر التي يسير بها الجميع

بعد أن مر يوم التنجيد ماسخ لا طعم له , رغم محاولات نساء الحارة في إضافة أي طعم أو بهجة له , خاصة خاله منيرة وأغنياتها التي تكسبها نكهة فريدة بلكنتها البحرية التي تحتفظ بها.

نسينا أو تناسينا أوامر أبي , تجاوب وسط أمي مع نغمات خالة رضا على الطبلة , وانساقت وراء ذلك وأخذت ترقص مع خالتي عفاف , كان منظرهما يشع بالبهجة , بهجة لم نختبرها من قبل , لذا انقبض قلبي , أخذت ألتفت حولي حتى أصل إلى ما سيفسد تلك البهجة , فهذا ما يحدث دائما , يقف النكد متحفزا كثعبان ينتظر أن ينشرح صدرك حتى(يبخ) سمه ومرارته في جوفك , حتى يمحو أي اثر لتلك البهجة !

حتى وجدته آتيا نحونا , بنظرته الغاضبة وحاجبيه المتصلين , هذا الشرر الذي يخرج من عيناه شعرت بلسعته وأمي سبقتني في ذلك , لكنها كانت الأسرع , هرعت إليه حتى تلم الليلة , وكي لا يرى نساء الحارة شيئا من أمرنا .

أخذته في وسط البيت وأنا فقط أتابع من بعيد , اعتذارها له , ورجاءها الذي أراه في حركاتها كي تمر الليلة بسلام , حتى استكان لها , رغم كل هالته تلك اشعر أن بداخله قلب , قلب يمتلئ بها لكن الله أراد أن يزاحمها فيه .

أحب أن أرى تصريفها للأمور , وكيف تستطيع إيهام الجميع بسعادتها وان بيتها ليس به شيء , أدهشتني حين أتت ب طست الشربات , تغرف منه بالكوب البلاستيك وتضع للأطفال في الأكواب الصاج , رغم مُضي ذلك العهد , لكن حارتنا ما زالت متشبثة به , باقي الحارات تحتفل الآن مثل الغرب , تأتي بصناديق البيبسي , بالله عليك كما يقول أبي ... هل رأيت بهجة كتلك التي تراها في وجه امرأة تقف بجوار طست الشربات الذي يعد لونه وحده بهجة ..

تخرج ضحكاتي لا تخلو من الصراخ , فعادة زفة السيارات أنهم يقومون بحركات تميل بنا , تسقط قلوبنا رعبا ونشوة , بجواري شيماء أختي تصرخ وتتشبث بي , هذه المتعة التي تنازل أبي ومنحنا إياها , لست حزينة لذلك , على العكس لقد وفر لنا هذا أمر الفرح ومصاريفه , واخبرني مسعد أننا سوف نسافر إلى أسكندرية أسبوع , اترك نفسي لنشوة الحلم الذي ما أكاد أعيشها حتى أميل على مسعد ويميل علي واشعر بالدوار , ربما يكون خدر السعادة الذي نادرا ما نشعر به حتى نراه شيئا غريبا نخشاه ..

وصلنا لذلك المكان الذي يعتبر بهجة الكثير من البنات الذي لم يكتب لهن الحظ أن يحتفلون بعرسهن , ربنا كريم على الخلق جميعا , يهبنا ما ينبض قلوبنا بالفرحة مهما قصرت يدانا , (كوبري الجامعة هذا) الزفة البسيطة التي سبقتني , التقاط الصور والضحكات العفوية , أدخلت

الفرحة على قلبي , وأشعرتني بالرضا , وعلى عكس أبي هذا اليوم جعلني اذهب إلى ربي ساجدة شاكرة واعدة إياه انه لن يفارق قلبي , لأنني آمنت انه يهب الفرح كما يهب العذاب .

مريم عزت

اجلس في مدخل الباب , أتفحص مجلة وأمامي عدة مجلات أخرى , اشرد معها ويشجعني على ذلك الصالة الفارغة التي لا يجلس فيها أحدا غيري , وعدد من الكراسي الخشبية المتهالكة , حين تزيغ عيناي عن المجلة وارى المكان الذي اجلس فيه , صالة دهانها متساقط , الأرضية ذات البلاط الصغير الملون الذي ومن سوء حظي يبدو دائما كالمتسخ , مهما نظفته لم ولن يتغير لونه , والحمام التي ادخله مضطرة , ناهيك عن تلك المناظر التي أراها هنا .

اسمع صوت يجعلني انهض عن الكرسي , ادخل الغرفة التي ينتهي عندها نظري حين آمل النظر إلى الباب الخارجي .

رجل يرتدي نظارة تظهر عيناه وكأنهما نقطتان , و بالطو متسع وكأنه صنعه للأيام , غرفته لا تختلف عن الصالة كثيرا , ربما مكتبه ما يعطي هيبة لها ليس أكثر , يطيل النظر ثم يقولها ..

_هل أتى أحدا ؟

أتحداه بنظرة أطول فيما معناه لو جاء أحدا لكنت أدخلته هل أتمتع بصحبتهم مثلا ! لم يجد ما يرد به علي فطلب فنجان قهوة , اتركه بلسان يُبرطم ووجه مشمئز .

أجد الصالة امتلأت وكأنني كنت امنعهم من الحضور , أتجاهلهم ثم ادخل إلى المطبخ كي احضر له قهوته .

ليس مطبخا بالتحديد مجرد زاوية في ركن ما في الصالة يوضع بها حوض برخامة رمادية أو هكذا أصبغتها الأيام والأوساخ , تعتليه سبرتايه وبضعة أكواب وبرطمانات .

اغلب من يحضر إلى الطبيب لم يحبون التعامل معي , كلامي قليل ويرون أنني انظر إليهم من فوق .

هم يحبون من يحادثهم , يهون عليهم الانتظار وقلق المرض , ادخل القهوة إلى الطبيب , اسمعهم وقد انفجرت أحاديثهم الجانبية وكأنني أعيقهم عن ذلك ! أعود إليهم لأرى أشباح ابتساماتهم المصطنعة , أنا لا أريد منهم أي شيء مصطنع أو طبيعي , ليتهم يعلموا ذلك .

اجلس على المقعد من جديد , يتوافدون علي لقطع التذاكر وإعطاء أوراق الكشف , انهي ما يطلبونه سريعا ثم امسك المجلات وأعود لعالمي , خاصة تلك الصورة التي خطفتني , فتاة تقترب مني في العمر تقود سيارة , ولكن كيف السبيل إلى ذلك وأنا أحيا وسط هؤلاء , انظر إليهم .

المرأة صاحبة القدم المتسخة التي تفضل دائما خلع(شبشبها) ووضع قدمها عليه , كأنها تتباهى بها , والطفل الذي يتلذذ بمخاطه ويظل يرفعه وينزله من انفه كالذي يتدرب كيف يطيل

نفسه . وأحيانا يتذوقه بشفتيه , أمه لم تتذكر أن لديها طفل من فرط اندماجها في أحاديثها مع هؤلاء الأغراب التي تراهم لأول مرة , تتذكره فقط حين ادعوها للدخول فتهتم وتحمله وتمسح انفه بياقة قميصه , أكاد اجن فأفضل النظر إلى تلك الفتاة العشرينية , هل يجوز لي الحلم بان أكون مكانها يوما ما , أفكر أن من يعلم ما يخبئه الغد , ربما تتغير الأحوال .

ماذا سيحدث إن تجاوز الله عن تلك الليالي التي نريد فيها أن نغسل أرواحنا من هموم الدنيا , لن نفعل سوءا فنحن اجبن من ذلك , لكننا يجب أن نجُن , يجب ذلك أحيانا يا الله , فهذا العقل والروتين الذي وهبتنا إياه , ممل , ممل جدا , حتى أنت يا الله لم تتحمله , اقسم لك ..

من دعاء تلك الطفلة يوم أن حرمها أبيها أن تذهب إلى البحر

ندى شكري

أنظر إلى من كنت مكانهم في السابق , على الأرض يفرزون ما تخرجه يداي الآن , لم أجد السعادة على ذلك المقعد التي تمنيته وعملت بِجد حتى أصل إليه , هذا تعب وذاك تعب هكذا أراه الآن .

نعم أن الراتب هنا أكثر و لكن أين يذهب هذا الراتب , جميعه اصرفه على جهازي , كثيرا ما حاولت أن افعل مثل الفتيات وأتمتع بثمرة تعبي مثلما يرددون , لكنني أتراجع في أخر الأمر , حتى أمي تفشل في إقناعي , فانا أرى إن الراحة حين اجلس في البيت وأودع ذلك الشقا .

تجذبني يد وتهمس في أذني بكلام لم استطع سماعه , تتحفز ملامحي وانظر لصاحبة اليد فأجدها ابنة (مرزوقة) شابة في مثل عمري ,مما يثير فضولي كي اقترب أكثر لأسمع , حينها تشعر الفتاة بأهميتها فتصمت وتشير إلى الخارج , تخرج واتبعها حتى نقف في زاوية بعيدة , تنظر خلفها حتى تتأكد أن لا احد يتبعنا أو يوجد بالقرب منا ويستطيع سماعنا , زيادة في التحفظ تمسك بذراعي وتهمس لي .

_اخو جوزي يريد يتقدم لك ؟

تلمع عيناي وابتسم لكني أفكر من هو اخو زوجها هذا , وأين رآني ومتى ؟

تقرأ تساؤلاتي التي لم انطق بها وتحاول أن تصل المعنى جيدا .

_هو قال لي أنه يريد عروسة تكون بنت حلال , وأنا ما أعرف أحسن منك , والله ده هديه وأحسن من جوزي كمان .

اصمت وتختفي الابتسامة كمن نزل عليه سهم الله , فتطرق هي الحديد وهو ساخن .

_وافقي نأتي وتشوفوا بعض , ماذا ستخسرين يعني .

أومئ برأسي وابتعد عائدة إلى الكرسي لأجلس ساهمة , لا أفكر في شيء فقط صدر يختلج بالكثير من الأمور , ما هو الأمر الذي سينتصر , فانا انتظر ذلك .

استرق النظر من منفرج باب غرفتي , امن الممكن أن ينتهي انتظاري على خير , وهل يأتي هذا الخير من طرف تلك الشابة ! من يعلم , يا خبر بفلوس مثلما يقولون .

ادخل عليهم بصينية الحاجة الباردة , عيناي في الأرض , لم أناول أحدا , خجلي جعلني أضع الصينية على الطاولة الصغيرة , وحاولت أن اهرب لولا ذراع أمي الذي امتد في اللحظة

المناسبة , مشيرة إلي كي اعزم على الشاب وصديقتي , على استحياء فعلت ذلك ثم انزويت بجوارها .

بين الفينة والأخرى اختلس نظرة , تلفتني تلك الابتسامة الخبيثة التي تخرج من شفاه صديقتي , تلتقي العينان دون وعي فتميل صديقتي على الشاب وتهمس له ثم تضحك ويبتسم هو .

انتظر أي شيء يبدو من ذلك الشاب ينصفني أو يُخيل لي انه يريدني , لكن الصمت والابتسام كرد على تدفق كلمات أمي معه , كان أوضح رد في رأيي , لم أعجبه , وربما الأمر كله مزحة من تلك المسماة بالصديقة , وهذا لم يدهشني على الإطلاق , قد اندهش إذا انتهى الأمر بخير , قمت دون إذن أو توديع بابتسامة , لم انتظر في غرفتي أي رد فقد أقنعني رد عقلي . أغلقت بابي ثم انكمشت في السرير , تاركة ما في الخارج حتى ينتهي .

مكثت في غرفتي حتى مساء اليوم التالي بعد أن أفرغت كل حقائب ملابسي , تلك الملابس الناعمة التي احلم بارتدائها منذ سنوات , أخذت أمزقهم حتى أصابني التعب , خبط الباب الذي لم يمل صاحبه منذ البارحة .

دُفع الباب لتجدني أمي وسط الملابس والعلب الكرتونية الممزقة , لم تكن أمي وحدها كان بصحبتها ذلك الصبي (محمود) , الذي وقف مندهشا يتابعني ويستوعب ما حل بي , تلك المرة الأولى التي يجدني بهذا الحزن واليأس .

ما إن تمسني يد أمي حتى افزع , ثم اضحك , استمر في الضحك كثيرا , وأنا امسك بالقطع التي كانت تشكل قمصانا فيما قبل , وكأنها نوبة هستيرية أصابتني , غضبت أمي مني وعلي ففضلت الخروج على أن تزيد من ألمي , اقترب محمود متوجسا ومشفقا , يجلس بقربي دون كلمة أو لمسة , انظر إليه بعينين باسمتين رغم ألمهما .

_جربت توهب حياتك كلها لحاجه واحدة يا محمود ؟

لم يفكر ولا يريد فهو يريدني أن افرغ ما بي لعلّي ارتاح , علّ روحي التي تعبت حد الثورة أن تهدأ .

انزل عن السرير وامسك قميص من الأرض , التي تمتلئ بقطع كرتونية صغيرة وبقايا قمصان , أضعه على جسدي , وانظر إلى الفراغ .

_أفضل طول الشهر نفسي ف حاجات كتير أوي بس أول ما اقبض , من غير ما أدرى أشتري حاجات و أشيلها , كأني كنت بحبس روحي أو ببيعها من غير تمن .

ارمق القميص , ثم القيه على الأرض , اجلس وكأني سقطت , حاول أن يظل على مسافته لكن انهياري كسره , اقترب وعانقني , لا ادري لمَ استسلمت لهذا العناق , ربما منحني السلام الذي ابغ , لكنه أيضا خلق شيء بداخلي اشعر انه ربما قد يخلق ندى أخرى ف الغد .

مريم عزت

امشي لا انظر إلى شيء إلا هاتفي , ملامحي تبدو جدية أكثر من اللازم , فانا متحفظة جدا في ما يخص سمعتي , غير أنني اكره أن امشي في هذه المنطقة , وخاصة هذا المكان الذي يشبه الدائرة التي لابد أن أمر بها أينما ذهبت أو جئت , لا يوجد به شبر فارغ فهو سوق بالنهار , ومرتع لمن يتعاطون أو يبيعون أي شيء في الليل , أراهم بشر غريبو الأطوار , وهم أيضا يروننني كذلك .

يفكرون ويتساءلون دوما , من تلك الفتاة وما سر تعاليها عليهم , أحيانا يشعرون بأنني غريبة عنهم , ولكنهم يعرفون أمي جيدا , لكنهم دائما يقولون , الشهادة لله طبعها يخالف هذه الفتاة تماما .

أمر بذلك الدكان الذي يوترني تركيز صاحبه معي , عيناه تصاحبني , يختلس النظر من تحت السيارة (صنايعي قد الدنيا و كسيب) لكن هذا ابعد ما يكون عن مخيلتي ,يستحثه قلبه على النهوض ونفض اثر العمل عنه , ليخاطبني بأي شيء , يخطف نظرة عن قرب , أو ابتسامة حلم بها كثيرا , لكن من صفاتي الخطوات السريعة لا يستطيع أن يسرق أي شيء

ندى شكري

تركت المصنع منذ ذلك اليوم الذي كسر في نفسي اشياء كثيرة , علمت مكان ذلك النادي من بعض النسوة وفرحت بوجود جارتنا معي فهذا طمأن أمي وجعلها تستجيب لإلحاحي سريعا ..

اذكر أول يوم وأنا امسك بيدها كطفلة تخشى الطريق , ناظرة إلى هؤلاء الأشخاص الذين استبدلوا الكلمات بالإشارات , لا احد ينتظر أحدا كي يسأله ويجيب , تكفي إشارة منك وإيماءة مني , أليس هذه لغة أيضا وقد تكون ابلغ أحيانا .

منذ كنت طفلة وأنا اعشق الركوب بجوار الشباك , ارتكز بمرفقي عليه واترك عيناي للطريق وما به , تبتسم ملامحي حين تلمح شاب يمسك بيد فتاة , لكن سرعان ما تزول تلك البهجة ويعود وجهي مشبعا بالهم الذي يتجاوز فتاة لم تتجاوز العشرون بعد , تلكزني جارتي حتى انتبه لحديثها ..

_أنتي يا بنتي ما بتملي من السرحان ده , أنا أوقات بحسك في دنيا ثانيه وجسمك بس اللي معانا !

_جسمنا مجبور على اللي أتخلق فيه يا أبله عفاف , لكن روحنا لا , عشان كده بتشرد غصب عنا .

_ينيلك بت , إيه اللي قالب كيانك كده ؟

_الدنيا . في حاجه غيرها !

_يا بت فكي كده ده أنتي لسه صغيرة , أنا عارفة إن الشغل لم يعجبك ,من يعلم يمكن يأتِ ما هو أحسن منها .

_أحسن منها بإمارة إيه , ها نضحك على بعض , حلو , نحمد ربنا .

_طيب ها أقولك حاجه تفرحك , ها تيجي معانا بليل فرح البت شيماء , قولت لامك ووافقت .

تلقي جملتها ثم تلتفت للمرأة التي تجاورها من الجهة الأخرى لتستأنف حديث يبدو أنها قطعته فجأة وعادت له كذلك , أما أنا فقد امتقع وجهي , أتذكر شيماء هذه التي ستُزف اليوم كعروس .

حين كنت أظن نفسي فتاة عشرينية , رغم أنني لم أكن تجاوزت الخامسة عشر , اترك العباءة التي أحاول تطريزها عندما سمعت طرقات صاخبة على الباب , افتح الباب ل أجد فتاة لم تتجاوز العشرة أعوام ترتدي فستان أحمر و وجهها أيضا خليط احمر , ارمقها حابسة ضحكاتي من احمر الشفاه الذي يتجاوز حجم شفاهها , على الجهة الأخرى الفتاة لم تبال بشيء تمضغ علكتها بشكل مبالغ فيه , وتنظر إلى الشبشب المتهالك الذي ترتدي ثم تنظر إلي حتى اعلم دون كلمات ما تريده هذه الفتاة.

_تريدين الحذاء الأسود أبو كعب عارفة , منا بقولك خليه عندك يا شيماء .

ادخل لأحضر الحذاء , تقف شيماء تلعب في شعرها وتلوك علكتها , اشك أحيانا بأنها طفلة , أعطيها الحذاء فتلبسه الفتاة وتترك الشبشب وتجري دون أن تنبس بكلمة أو ابتسامة شكر !

أبتسم وأنا لا أزال انظر إلى الطريق , متعجبة لحال الدنيا التي ستجعلني احضر زفاف طفلة , وأنا كل ما وصلت إليه هو زهد الانتظار , تتعجب عفاف لابتسامتي .

_وحياة النبي أنتي بحالات يلا يا أختي ها ننزل ولا أعجبتك القعدة .. (تلتفت إلى السائق)

_على جنب يا أسطى ..

رضا المحمدي

أقف أمام ذلك الحائط القصير الذي ينتهي بسور زجاجي يكشف الشاب الذي يتحرك خلفه سريعا بين قدرة الفول , تفلت المغرفة التي يتركها على حافتها بعض حبات الفول وقطرات من مياهه فتشكل بقعة بنية فوق الرخام الكالح اللون , يتذكرها أحيانا ويزيحها بخرقة برتقالية .

انتظر أن يعطيني الرجل كيس الفول والكيس الورقي الصغير الفارغ , امسك الكيس وأتحسر على حجمه الذي يزداد صغرا كل يوم عن الذي سبقه , اذكر في طفولتي الطبق ألألمونيوم الذي أملأه بالفول الزبده وليس ما احصل عليه الآن مياه بلون الفول وان وجدت حبات الفول أجدها نيئة وليس لها طعم ..

الطعمية لها شأن آخر فهذه التي كنت تشم رائحتها عن بعد , الآن أقف بجانبها ولا أشم أي شيء سوى ذلك الزيت الذي يلعنهم من كثرة ما قدحوه وحرقوه , فتخرج لعناته على هيئة رائحة تسد أنوفهم , بالطبع أنوفهم اعتادت ذلك , إذا من تلعن أيها الزيت ؟ نحن . الم يكفيك حالنا !

امسك قطعة الطعمية التي لا يوجد وقت للتحسر على طعمها وهيئتها , أضع واحدة وأعقبها بالأخرى انفخ في أصابعي حتى استطيع أن أكمل .

أنا ومريم فقط نجلس على الطبلية , تأكل هي سريعا كي تذهب إلى عملها , هذه طبيعتها دائما في عجلة من أمرها , قليلة الكلام , فهي تؤمن أن جدوى الفعل أكثر من تلك الكلمات التافهة , لهذا اعتاد كلا منا طبع الآخر وتقبله , يُفتح الباب ويدخل ابني الكبير ومعه طفلته صغيرة لم تتعد السنتان , يسعدني رؤيتهم , ثم افتح ذراعي للطفلة التي تتشبث بابيها وكأني شخص يخيفها ! أرد يدي وأشير إليه كي يجلس بجواري على الطبلية .

اسحب عدة الشاي من تحت الكنبة , بينما مريم سلمت عليه ثم ارتدت طرحتها وانصرفت , لا تحب أحدا هذه الفتاة , أي نعم لا تكره أحدا , لكنها متمردة على كل شيء , خاصة أخواتها التي تراهم إغراب يريدون التحكم بها , دون الاهتمام لأمرها ولو من باب الفضول .

مريم عزت

محل ملابس يطل على ساحة مضيئة ومبهجه يمر بي أناس ابتهج لرؤيتهم , يجاور المحل الذي أقف بداخله الكثير من المحلات في هذا التجمع المسمى (مول) , لا اهتم للزبائن إلا حينما يقتربون ويظهر في عينيهم نية واضحة في الشراء , لذلك حين أرى تلك المرأة المهندمة تقترب مني وتشير إلى شيء معين وقد خصصت لونه , فهذا يؤكد رغبتها , وأنها ليست من هؤلاء الذين يكتفون بالمشاهدة ويعدونها نزهة !

اعتلي سلم خشبي صغير كي احضر ما تريده السيدة , ثم أعطيها إياه واتركها لتدخل البروفة , هنا أيضا تعاملي جاف مع البشر , أية بشر لم اعرفهم جيدا لا أهتم ما انطباعهم عني , علينا أن نرضي أنفسنا لا الناس , هل سيحاسبون بدلا منا في أخر الأمر ..

علمتني ذلك الدنيا أن افعل ما أريد لأنني من أحاسب عليه , لذا سأفعل كل شيء برغبة وإرادة حرة , ابتسم لرؤية تلك الوحيدة التي أكون على طبيعتي معها , اندفع إلى حضنها لدقائق واقبلها وامسك خدودها كطفلة .

تجلس على السلم الذي نزلت عنه للتو حينما أحضرت لتلك المرأة ما أرادت , تخرج من حقيبتها (أتنين كان) تعطيني واحدة وتأخذ هي الأخرى , بينما أقف أنا منتظرة تلك المرأة التي أعطتني المال الذي سبق وأعددت فاتورته , ثم انصرفت لانضم إلى صديقتي وقد جلست قبالتها على الكرسي الخشبي الوحيد في المحل , اندهش لمجيئها ولمزاجها الرائق أكثر , فألقي السؤال الذي اعرف إجابته ..

_مالك يا بت مش عادتك المجيء ف وقت الشغل كده ؟

_أصلي زوغت النهار ده .

اندهش بشكل عجيب لم تصدقه هي ولا أنا فنحن معتادان فعل تلك الأمور , ولو لم نجد سببا لفعله فعلناه من باب التعود أو الملل , يتحول الاندهاش سريعا إلى ترقب وابتسامة ماكرة , فتجيبني ..

_آه يا أختي قابلته .

_يا بت أمال إيه لازمة وجع قلبي معك أمبارح .

_يا أختي , المهم أنتي أخبارك إيه ؟

_ما فيش جديد اللي ببات فيه بصبح فيه !

_والنبي أنتي كئيبة , يا بت حبي يمكن ربنا يفكها عليكِ وتبتسمين .

_عاوزة ابعد عن المنطقة دي بأي طريقة يا مها , بكرهها ولما جئت هنا كرهتها اكتر .

تتنهد (مها) التي أتت من اجل أن تشكو حالها ونوايا من تحب المشكوك في أمرها , فتجدني لم يدور في رأسي سوى أمر واحد ملت سماعه , فتقبلني وترحل , لمَ تشكو حالها طالما سعيدة , لماذا تشغل بالها بترهات من الممكن أن تكون مجرد شكوك , أما أنا أرى إنها حقيقة وأتمنى أن تكتشفها مبكرا , لهذا لا أؤمن بالحب , انضجا أم أنانية !

ندى شكري

آثار أقدام على الأرضية الرخامية , آثار ذاهبة وأخرى عائدة , لمَ لا يمشي الجميع على نفس الأثر ربما يقل هو وغضبي المحتقن في ملامحي , أتعجب بقدر ما اغضب من أين تأتي أقدام هؤلاء بهذا الغبار , أراقبهم جيدا أقدامهم لا تطأ الأرض إلا في هذا الحمام وبعض السير في النادي , نعم انه السير , اللعنة على ذلك النادي , كأن أصحابه تواطئوا مع ذرّات التراب كي تعلق بأحذيتهم ومن ثم تتواطأ تلك الذرّات مع قطرات المياه حتى يشكلا آثرا ربما يروه تحفة فنية واراه كابوسا احلم بالصحو منه , لا ليس هذا هو الكابوس , الكابوس في الطريق إلي بل أصبحت امسكه بيدي . طفل رضيع اعرف حالته من وضع الجميع لأيديهم على أنوفهم , كدت ادمع لولا أنقذني القدر الذي أرسل عفاف في الوقت المناسب لتأخذ الطفل وتتركني بحالتي تلك حتى استفيق على الأخريات اللاتي يدخلن ويعبأن الحمام برائحة العطر الذي يخفي رائحة كل ما هو كريه في هذا المكان , لكنه يأتي بشعور كريه , لمَ أنا هنا وهم هناك , لماذا لا يوجد تبادل للأماكن , أو على الأقل يُحقق حلمي في أن أحيا قصة حب ..

كفى أحلاما يجب أن انهض لامحي آثار الأقدام وأعيد الأرضية لامعة كما كانت , ثم اجلس مرة أخرى على الكرسي بجوار الباب , أحب أن انظر إلى هؤلاء البشر , الذي اشعر أحيانا أنهم ليسوا بشر , , دائما ما يجذبني مشاهد الحب , لمحت شاب وفتاة وقفا يتحدثان ثم وضع يده حول خصرها وقبلها , قبلة سريعة بدت كأنها شيئا عاديا , حتى الفتاة لم تعيرها انتباها , فقط أكملت حديثها وهي تنظر إليه دون خجل !

_ندى .. ندى .

يفزعني الصوت رغم معرفتي بصاحبته , ومن غير عفاف التي رمقتني بنظراتها , يحيرها أمري , وتكاد تصيح في كب استفيق من هذه الأوهام على حد قولها , لكنها تماسكت وجلست إلى جواري ونظرت إلى ذلك الثنائي الذي سلب نظري وعقلي , يفيض بها الكيل فتنطق ..

_يا حبيبتي دي حاجات لو آخذتيها على أعصابك تموتي ناقصة عمر ..

_ها يحصل إيه يعني ما أحنا عايشين ناقصين حياة .

_يا لهوي عليكِ وعلى كآبتك , يا بت فكي , مش لازم نعيش زي دول , بس ممكن نعيش عيشتنا ونتبسط برده , ربك ما يظلم أحد .

اسكت ندى وادخل الحمام كي اخلع الحجاب , تدخل خلفي عفاف وتفعل نفس الشيء لكنها ترتدي خمارا ...

لن يدرك ألمي وحلمي غيري , لذا أحبذ الرد القصير , أردت أن اهرب من تلك الواقعية التي تصر عفاف أن تجذبني إليها , أسدل شعري حتى منتصف ظهري خصلاته الحالكة السواد كما حياتي , لامع مثل عيناي حين ترى مشاهد الحب , مجعد تلك الكلمة التي كنت اكرهها إلى حد

قريب حتى رأيت الفتيات في ذلك المكان يتباهون بشعورهن التي تقل جمالا عن شعري ويدعونها بال(كيرلي)

انظر إلى المرآة فرحة به , تفسد علي عفاف اللحظة .. ف عفاف مثل الدنيا لا تستطيع فهمها ولا تصنيفها , تخفف عنك الضغوط أحيانا لكنها أيضا لا تتركك تسعد ! تعطيني الحجاب وتذكرني بان موعد انصرافنا قد حان . اربط شعري وأغير ملابسي ثم ارتدي الحجاب , اشعر أن ملامحي بهتت بعدما فعلت ذلك . عادت إلى يأسها وكآبتها .

مددت يدي إلى عفاف التي اتشحت بعباءتها السوداء وخمارها الرصاصي المفضل إليها .

ثم ننصرف وببالي دعوة ألا أآت إلى هذا المكان مرة أخرى .. هل ستجاب هذه الدعوة يوما ما !

الحب له سكرات , أيام مرارة وهم ومن الفرح لحظات , وف لحظة يجيلك البعيد مثل قرصه الحيات .

مقولة لا نعلم أي عاشق قالها ذات ليلة في سهرات أم بدر

أم بدر

عيناه الزائغة بتلك النظرات التي تتبع أحدا في الأعلى , ف تلمحه تلك النظرة التي حفظها عن ظهر قلب , نظرة تقبض قلبه وتشعره بغصة وغضب من كل شيء , كثيرا ما فكر أن تمتد يداه كما عيناه لتطال هذه المرأة وتلقي بها من النافذة حتى يهنئ باله ويستطيع رفع رأسه إلى الأعلى منتظرا ما يسعده , يخفض رأسه ويلجأ للحديث معي , على أمل أن تنعس تلك العيون أو تغرق في سبات ابدي , هذه العيون الذي نكره فضولها ،لكنني اعلم أن صاحبتها ذات قلب ابيض ،سعاد التي أخذت من الجميع أعداء لها منذ يوم المصيف الملعون ذاك ، هذا هو قدر الفقراء حين يقررون الهروب من الهموم تأتيهم مضاعفة.

تنظر عبر نافذتها بنظراتها الحادة وثغرها الساخر , وحركة الشفاه التي تصاحبها رفعة حاجب تضاهي أشرار السينما جميعا , تنظر إليه ثم إلى النافذة التي ترمقها نظراته , تجدها مغلقه تضحك بصوت مكتوم وترد شباكها ..

دون أن انظر لما يجري أو حتى ارفع نظري عن التلفاز , الذي أتابع من خلاله باهتمام الفيلم العربي الأبيض وأسود .. أتحدث بهدوء ..

_للدرجة دي بتحبها يا هاني ؟

يتنهد ويختلس النظر إلى شباكها فيسعد لاختفاء هادمة اللذات ويجيب في وله ..

_دي الضي يا أم بدر , ينفع حد يسألك بتحبي الضي ولا لا ؟

التفت رغما عني ف إسماعيل يس الذي يضحكني من القلب يجذبني , لكنني أريد أن أرى تلك الملامح الناطقة بهذه الكلمات , فأجدها كما تخيلت هائمة وذائبة في كل حرف قالته .

_ينيلك , ده أنت بتحب بجد على كده يا وله .

يخجل كطفل صغير رأته أمه في وضع مخل , فابتسم مخففة عنه هذا الخجل وانظر تجاه التلفاز وانطق بصوت عال ..

_واد يا منعم تعالى شيل البيرة هاني خلاص مسطول بالحب ..

لا اعلم أين هو هذا المنعم , ف هذا المكان المظلم الذي يحوي الكثير وال لاشيء في آن واحد ! يتململ شيئا ما بالكاد يظهره ضوء التلفاز ثم يقف مرة واحدة , شاب في منتصف العشرينات له شارب وحسنة كبيرة أسفل ذقنه , يرتدي جلباب زيتي , يعرف به إذا نسي أحدهم تلك الحسنة .

منعم قناوي

أضع الراديو على حافة المسند بالقرب من النافذة واستمع من خلاله لصوت بحر أبو جريشة , تهفو روحي مع صوت ذلك الرجل المليء بالشجن , اشعر بأنه أيضا كان جنوبيا وطارده الشعور بالغربة فنضح به صوته , حين تزداد الأيام سوادا اذهب إليه يغسل روحي بصوته , تدخل علي سعاد ممسكة بصينية الشاي وتعطيني الكوب ومعه ابتسامة بها شيئا من الغنج حاولت فيها أن تكون أنثى مثلما ترى في الأفلام أو ما تراه حولها من نساء خاصة(جميلة) التي تراها النموذج المثالي للمرأة , تحاور عقلها حتى تلهيه يبدو من ملامحها أنها تريد قول شيئا ما حتى يخرج منها .

_إيه رأيك يا منعم لو تجيب حبة طماطم على بطاطس وديتها عربية تفرشهم عليها بدل البهدلة دي .

_وده اللي ها يحل أزمتنا يعني ؟

_من يعلم , أنا من ناحيتي مش مخليه ف جهدي جهد وكاسره قرشين , أنت كمان أيدك معي وإحنا نعمل اللي ما يُعمل .

أتابعها وحديثها الشيق التي تخرج كل كلمة فيه من أحشائها من كثرة إيمانها به وتصديقها إياه , من يعلم ربما تكون محقه .

_خلاص أيدي على كتفك , طالما في الصالح .

من فرط بهجتها تثب وتحتضنني ربما لأول مرة , ثم تنطلق لتخرج لي ما في جعبتها حتى تخطو أولى الخطوات نحو حلمها .

يونس حسين العدوى

ألتقي بها وأهيم في ملكوتها ، تلك الفتاة التي خطرت على بالي منذ أن طلب مني هذا الرجل الزواج , فتاة خارج حارتُنا تسكن في العمارة التي تجاورني في ذلك المكان الجديد الذي انتقلت إليه منذ شهور , تلك العمارة الشاهقة بجوار بيتي المكون من دور واحد ، وكأنها تريد أن تذكرني بهذا الفارق بيننا , إنني سأظل صفرا على الشمال مهما حاولت , لكن نظراتها تحثني على التقرب , على أخذ تلك الخطوة والتحدث إليها , فتاة تقترب من الثلاثين ، تصغرني بعشر سنوات , عذبة الملامح , فمها الدقيق الذي تعني ابتسامته الكثير لي , لكنني لم اعد مراهقا لتكفيني تلك الابتسامات والنظرات المتبادلة , أريدها زوجة , ربما يريد ذلك المقامر بداخلي أن يستقر ، كي يلتقط الأنفاس ليستطيع القيام بمقامرة اكبر , اعلم أن والدها رجل سوق ومغرور لكن لا مجال للخوف والتردد فهما أعدائ لي , سوف أخذ تلك الخطوة وليحدث ما يحدث .

بعيون منبهرة نرمق هذا المكان الفخم إلى الحد الذي إنسانا أنه يجاور بيتنا , تجالسنا أم الفتاة وأبيها ، أمها امرأة تتزين بالذهب كما الملابس , تشعر أمي حين تراها أن تلك ألما شاء الله التي تملكها شيئا لا يذكر , فهذه المرأة التي تضوي ب ما ترتدي من مصاغ وعباءة باهظة الثمن المزركشة بأشياء تضوي أيضا , كل هذا يخلق غصة وتوتر في صدورنا يمحو أثرها روح هذه المرأة الحلوة التي تشبه بيئتنا , الرجل فقط هو العقبة , غرته تلك الأموال الذي أتأكد وأبادله النظرة التي تقول ذلك , حتما أموالك تلك لم ترثها , تخفف تلك النظرة من نعرته التي لا معنى لها , حتى تدخل علينا الفتاة حاملة الصينية المليئة بالكؤوس , وخلفها شخصا خطف أنظار حنان , حاصرته عيناها رغما عنها , حتى تجاوزها وجلس على كرسي يجاورها , وما أن يرفع عيناه ليتحدث إلي حتى تلمحها عينه , حاولا التغاضي عن معرفتهما تلك , لكنني فهمت أن هناك معرفة مسبقة ، أشعر بحرارة تشع من جسدها ، تيقنت أنها شيء خاص ، شيئا ترك أثرا بهما ، بدا ذلك في حرارة جسدها مما زاد من اضطرابها ،هو أيضا غارقا في شروده الذي يصل إلى حد الذهول ، حاولت أن افسد لحظتهما حتى لا يفضح أمرهما ، رغم تعجبي وربما سعادتي لرؤيتي أحدا استطاع أن يجعل من حنان أنثى بهذا الشكل .

لم تتسنى لي الفرصة لإفساد ما ذهبوا إليه في خيالهم ، تلك المرأة التي تحمل طفلا صغيرا أعادت الرجل قفزا إلى واقعه ، دخولها سحب ذلك الانتشاء الذي عكسته الابتسامة البلهاء التي أمحاها دخول تلك المرأة عن وجهه.

يهب متولي واقفا كي يجلسها , لم نحتج إلى تعريف لقد بدا من نظرتها ونهوضه أنها زوجته , لن تكتمل بهجتك يا حنان , لابد أن تقتليها قبل أن تستفحل , علاقتكما التي أخمنها يبدو أنها أصبحت إطلال لم ولن تتجاوز خيالكما , تجلس ساهمة إلى أن ننهي الاتفاق وقراءة الفاتحة ، كنت أتمنى لو نلنا أنا وهي نصيبنا في السعادة في يوم واحد ، لكن لا يهم فقد نلت نصيبي ، ذلك الحب الذي ظننته وهما لوقت قريب حتى لامست يداها بعدما صارت تخصني ..

أم بدر

يحدث أن أصحو مبكرا فلا أجد ما أفعله , لكنني أكره أن أكون وحدي , لذا في هذه الأحيان أذهب إلى السوق , أراه مشوار يحمل الكثير من المنفعة ..

يراني عابد فيأتي لي ب كرسي من المقهى التي يعمل بها , أجلس حتى أستطيع تذكر ما أريد , وأجعل أية امرأة تمر تحضره لي .

حين ألمح تلك الفتاة التي أقامت السوق ولم تقعده من قبل , أجد عيني رغما عني تتبع عابد , لأجده يراقبها وهي تمد يدها إلى الزبائن , تعطي أو تأخذ , تلك العباءة التي فتنته , يحفظ شكلها عن ظهر قلب , التصاقها بهذا الصدر المنتفخ الذي أجزم أن له خيالات معه , وتلك الشفاه العريضة التي لا تسئم مضغ اللبان وإلقاء السباب على خلق الله , ورفعة الحاجب التي لا اعلم من أين تأتي بالوقت لترسمه هكذا دائما , وما كل هذه البودرة التي تضعها على وجهها , أليس الأجدر بحقها(ليفة) تنظف تلك الأوساخ العالقة بيدها وقدميها منذ سنوات , ورغم كل ذلك احبها احب تلك التفاصيل , وذلك المزيج بين الأنثى والرجل ..

أمصمص شفاهي حسرة على هذا الشاب , تمر بي سعاد فأمسك بها , تكاد أن تعلو بصوتها التي لم ترحم منه أحدا , لكنها حين رأتني ابتسمت وهاودتني فيما طلبت .. غريب أمر هذه المرأة تستطيع التحكم في مشاعرها حتى في احلك الظروف ..

نحن لا نحيا بتلك الأنفس التي تظل عالقة بين دخول وخروج إلى أن تؤخذ منا , نحن نحيا بوجودنا داخل الآخرون , حين يتذكروننا نشعر بهذا الوجود حتى وان كنا في عالم آخر !

خطرت ببالي هذه الجملة الذي قالها حسين حين رأيته أخر مرة ...

عزمي نشأت

صف قصير من الكراسي الخشبية أجلس في أوله , (عيونه الماكرة لأول مرة يصيبها حزن حقيقي) , دموعي عزيزة وربما لم تُذرف على احد لكنني حين لمحت عربة صديقي بعيدا , تذكرت هيئته وهو جالس على مصطبة في إحدى الحارات المطلة على خرابه كان يعشق النظر إليها ف الظلام , أظنه هكذا انتهى , اخبرني بعض الأشخاص أنهم لمحوه من بعيد , يبتسم حين رأى تلك البركة التي تؤذن بفك حصر احدهم , ومؤخرا تلك الهمهمة لمن يتعاطون الحشيش , أو يبيعونه , يتابع في صمت , ليس لفضول على العكس , الناس لم يخافوه لحظة واحدة , فقط يبتسم ويصمت ثم يجلس بعد إن يحل به التعب , ابتسامة تختم حياته التي ندر فيها الابتسام .

أخرج مفاتيح من جيبي , وأتذكر كلمات حسين في أخر مرة رأيته فيها .

_ ده مفتاح حوش أبويا , ترب الأمام . أي نعم خوتونا بحتة أنها غرقت ميه , بس يا سيدي. نغرق , ها نموت تاني يعني , ناس غريبة والله . أوعى تنسى تدعي لي يا عزمي و بالمرة ادعي لام احمد .

أضم شفاهي حتى لا تخرج ضحكاتي المكتومة , اندهش لعدم مجيء أولاده ولا حتى زوجته , هل اشترى عداوتهم أم يحصدون ما زرعوه .

منصور عبد القوي

أقترب من ذلك الشيء الذي يشكل صفا صغيرا من الرجال , وجوه حزينة بحق وان قل عددها , أدخل منكسا رأسي مثلما أفعل منذ أن خرجت من المعتقل , حين رأيت صف الكراسي الصغير المتراص ونظرت إلى ذلك البيت الذي ما أن رأيته حتى أذكر ذلك الرجل الذي رأى الكثير لكنه وعلى عكس ما ظنناه جميعا كان يحمل قلبا من ذهب , أذكر تلك المرة حين رأيته لأول مرة , وان صح التعبير أن أقول لأول مرة بعين مغايرة , بعين القلب التي لا ترى فيمن أمامها سوى القلب .

نفس الزاوية من المسجد مع الشيخ تاركا في كل مرة كيس اسود ثم يرحل في صمت , حتى ذلك الشيخ لم يعرف اسمه , يعرف أن من يتبرع بتلك الأموال هي (أم احمد) , قدمت العزاء إلى عزمي الذي لم أعرف من هو وربما هو أيضا كذلك , ثم جلست في نهاية الصف الذي يتكون من كراسي فارغة يجلس في مقدمتها (عزمي) وبعض الأشخاص الذين لم يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة ,شردت وتركت نفسي صامتا متحسرا على ذلك الرجل الذي تشابه رحيله مع حياته , صامت دون ضجة ولو مفتعلة تعطي انطباع أن غيابه ترك أثرا في نفس احد , من يعلم ربما هذه الضجة المفتعلة توجد ولكن في مكان آخر ..

منى يوسف

في تلك الشقة الفاخرة التي تحيى فيها نعمة وأولادها , نساء كثر يولولن , لا أعلم على من , فهن لم يعرفن حسين ولم يرونه في حياتهم ولو مرة واحدة !

قبل أن ادلف إلى البيت , أرميت بصري حتى وصل إلى ذلك الصوان الذي أقامه يونس , صوان كبير , حضره الكثير مجاملة للمعلم (يونس), الذي شعر بالانتصار لحضورهم عزاء أبيه , مرير اثر الفقر من النفوس , والأشد مرارة حين يصل مداه في نفوسنا إلى هذا الحد ..

لكن ما رسمه خيالي وتحقق بالفعل , هي ملامح (حنان) بل حنان بأكملها , أرى الأمر يعجبها , حضور بعض النساء التي تعرفهن من الحارة , تبتسم ساخرة لوجود هذا النوع الذي وحمدا لله أنني لست منهن , هؤلاء اللاتي يستطعن محو تاريخك في لحظة , ما أن تُظهر ورقة مالية واحدة . أرى ذلك الانتشاء الذي تضخه عيناها فيصل إلي وأكاد انتشي أنا أيضا على إثره , يعجبها نظرات نسوة الحي التي تتفحصها وتبدي رغبة في التقرب منها ,وربما يفكرون في مصاهرتها , يعجبها ذلك وترى فيه انتصارا حلمت به كثيرا , وربما كان اكبر من أن تحلم به , لن توافق على مصاهرة أيهن , فهي ترى أنها أصبحت فوق الجميع ولن تتزحزح عن ذلك المكان قيد أنملة , حتى وان تجاوزت الأربعون .

نعمة ساهمة ,قد تكون المرة الأولى التي عادت فيها بشكل طبيعي إلى نعمة التي ربما افتقدها حسين , ترتدي جلباب اسود بسيط ,تعصب رأسها , لم ترتدي قطعة ذهب واحدة , مثلما قضت عمرها كله , لم تعد تهتم لأمر هؤلاء المعزون ولا هذا العالم الذي غرها وأبعدها عن شريك عمرها الذي مات غريبا مثلما عاش , أتعطيه امرأة عجوز عمرا وقلبا في ليلة واحدة , وهي أم أولاده يفضل الموت هكذا عن أن يكون بجوارها , تسبح عيناها في هذا الملكوت الذي انتقلوا إليه , شقة على قدر اتساعها أصبحت تضيق على الروح ..

كنت محقا يا حسين , أعطيتهم المال ومعه لعنة حاجتها للحب , لعنة الراحة التي لم يعرفون قدرها , ومن ثم أطلقت صرخة أدهشت من حولها , صرخة تقبض القلب , ربما قالت بها , أدركت حبك بعد فوات الأوان !

عن تلك الليالي التي تسبق النهايات , لا تهم ماهية النهاية فالفرح ينتهي مثل الحزن , لكننا لابد أن ننتهي , لأنه قدرنا ... ربما , وقد يكون ما نظنه النهاية , بداية جديدة ..

تلك الأفكار التي اجتاحت مريم بعدما أمسكت بعقد الشقة

حسين العدوى

سمعت قصصا كثيرة حول موتي , هذا يقول انه وجدني مغمض العين جالسا كما عهدي دوما في ركن مظلم في إحدى الحارات , والآخر وهذا اشد جرأة حيث انه اقسم على أنني لفظت أنفاسي الأخيرة بين يديه , لم أكذب أيا من هذه القصص , تركت نفسي اختبر أمر موتي وأثره على من حولي ربما يسعدني هذا أو يصل بي إلى شيء أعمق ربما اكتشفه فيما بعد ..

الغرفة بدء الحلم واللعنة , كما هي منذ أن دخلتها أول مره , كل شيء على حاله , الملاءة البيضاء , صينية الشاي أخر يد لمستها كانت هي , أقف أمام الدولاب ممسكا بالعلبة الصغيرة التي كانت مخبأ (الحلق) قبل أن تأخذه نعمه , فتحت العلبة ثم مددت يدي إلى ذلك المنديل الذي رأيت أم احمد تلفه به ذات مره , لم أقوى على فتح المنديل ولمس الحلق , أغلق العلبة ثم أدسها تحت ملابسها وأغلق الدولاب , ثم استند إليه مفكرا , كيف سأحيى الآن!

بشكل وهدف مغاير أسير في الشوارع هذه المرة , أصبحت طريدا في نظر البعض وميتا في نظر أقاربي , وشبحا في نظر الكثير , لم يضايقني الأمر على العكس وجدته فرصة كي أبدء من جديد , بدأت بذلك الشال الذي يخبأ معظم وجهي , تظهر عيناي التي تستجدي أصحاب العمل كي اعمل لديهم أي شيء , لكن ربما هم أيضا يرونني شبحا يثير ذعرهم بدلا من تعاطفهم ..

انظر إلى تلك المباني التي حلت محل الأراضي الزراعية التي كانت مصدر عملي , امتعض ماذا افعل الآن , حتى ساقتني قدمي إلى عربة نصف نقل تكسوها قطعة قماش وتعد عملا للكثير , تحتاج فقط أن أكون جيدا في القيادة , لدي بعض الذكريات التي تمكنني من الجلوس أمام عجلة القيادة , البقية ستأتي بالطبع .

تحدثت إلى أحدهم وعيناي تلح في طلبي , لم يعرف الرجل من هذا القادم من الكهف راغبا في أن يمتهن تلك المهنة , لكنه رآني حتما شخص سُدت في وجهه كل الأبواب . رق قلبه وأعطاني موعد أبدأ فيه العمل , خاصة انه موسم مدارس والعمل جيد فيه , يلزم فقط الصحو مبكرا , فأغلب من يعملوا مع ذلك الرجل يفضلون العمل متأخرا , لذا ربما يكون قد رأى في فرصة له .

في حالي أجيء وأذهب , لا أشبه أصحاب تلك المهنة , لا يعلو صوتي أبدا , ولا تخشى النساء الجلوس إلى جواري , بالفعل اختلف عنهم , لكنهم تقبلوا اختلافي هذا , أصبحت أتنقل بين العربات , يريد أن يذوب يومي في العمل , السير في الشوارع أصبح مرة واحدة في الأسبوع , عداها يكون العمل فقط .

سعاد حماد

بوجه تنيره بهجة الاقتراب من تحقيق الحلم , اجلس على القفص الخشبي المغطى بخرقة بالية , ارش بعض الماء فوق الملوخية والخضرة , أساعد من تجاورني أحيانا وبالطبع أساعد منعم الذي يقف بجواري وقد تخلى أخيرا عن جلابيته الزيتي وارتدى جلباب يوحي بأنه في طريقه إلى لقب المعلم , أوقن انه خلق له رغم انه على نياته , اشعر أن طوله ازداد منذ أن رزقنا الله بهذه العربة التي لا ينفض عنها الزبائن حتى أخر النهار , ف أخر النهار له زبونة وحتى البضاعة الفاسدة لها من يرغب بها .

أخر النهار إذا شعرنا بالملل وبعد أن أوافق أن أفك عن كيسي الذي يشمل كيس منعم أيضا , حينها أوافق على مضض أن نسير معا حتى بائع العصير , وأتلذذ بكوب عصير المانجو والجلوس سويا والتمتع بنسمة الهواء , وتقمص دور حبيبان يجلسان على الكورنيش ويتناولان حمص الشام , مع الفارق أننا نشعر بأننا أفضل على الأقل نشرب مانجو وهذا ليس بالشيء القليل !

ندى شكري

نلمح بعضنا حين تجاوزت أنا الحارة , ووقف هو أمام المحل ليشتري كارت شحن , نشعر بشيء ما اجتاحنا , كل منا بعيون باهته لا تحلم بشيء , قد رأيته قبل ذلك كثيرا وهو أيضا , لكن الآن شيء مختلف , ربما لأول مرة المح نظرته وهيئته , ابتسامته العذبة وان كانت تنضح الم .

أعطى الرجل المال ودس الكارت في جيبه وذهب خلفي ,كأنه يريد أن يتأكد من كوني حقيقة أم خيال يطارده , لا يريد أن يترك لخيالاته العنان كما المرة الأولى , يكفي الإنسان خيبة واحدة في حياته , تمهل في مشيته حتى لا يبدو كمن يراقبني , حتى دخلت منزلي توقف هو ونظر إلى منزلي الذي يقابل منزل مريم ويبعد عن منزله بخطوة واحدة , يسخر من نفسه ومن القدر , أيبتهج بما حدث أم يندم على ما فات , لكنه كما قرر لن يحيا أوهاما مرة أخرى , يدلف إلى بيته الذي يرى أخته تخرج منه , لا يطيق الانتظار حتى يدخل غرفته , أراه يحدثها في مدخل بيتهم وهو يشير إلى منزلي , يبتسم و ينظر في عينا أخته , تهمس له في أذنه , حتى تصبح ابتسامته بهجة تعم وجهه , يهمس هو لها فترفض , يستحلفها بوجهه وفرحته التي قلما رأتها فتومئ برأسها وتقبل رأسه , تخرج وهي تحدث نفسها , ويدخل هو غارق في فرحته .

أكاد أطير من الفرحة حتى أفيق على قصته مع مريم , اشعر بغصة تفسد تلك الفرحة التي اختبرها لأول مرة حتى وان كانت مجرد وهما , أريد أن أحياه لأخره ..

مريم .... ندى

كلما ركبت الميكروباص في ذهاب أو عودة ومرت بذلك الجبل تذكرت النادي التي كانت تعمل به , تلكزني لتذكرني رغم أنها تعلم وحفظت عن ظهر قلب إلحاحي عليها كي تلغي تلك الفترة من حياتها , يثنينِ عشمها عن الرد القاسي التي كدت أن انطقه ..

أرى نظرة الامتنان في عيناها طيلة الوقت , وكأنها تشكرني أنني انتشلتها مما وصلت إليه , حين تهبط الدنيا بسقف أحلامك , ترى ابسط حقوقك منحة من الآخرين وربما القدر , هي لا تعلم أنها تستحق أكثر من ذلك , وليس لأحد فضل عليها حين يعطيها ما تستحق , لكنها مثل باقي أهل حارتنا يرضون بالقليل , وحين تحدثهم أنفسهم بالحلم يستعيذون بالله ويبصقون في صدورهم ..

انتقلت أنا إلى ركن الماكياج , فساعدت ندى كي تنزل مكاني في محل الملابس .

هي تعلم أنني لست كأهل الحارة , علاقتي بالجميع لها حدود , أدرك أن هذا يضايقها , فهي اعتادت جلسات النساء وبنات المصنع , أرى عيونها تائهة , لا ريب أنها تشعر مثلما اشعر حين أكون في الحارة , هي تجد أنها لا تنتمي إلى هنا , يجب ألا ننتمي سوى لأشياء تشبهنا , لكننا في النهاية لا بد أن نلتقي .

أعلم أنني حادة الطبع لكن هذا لا ينفي أن بداخلي طابع الحارة , جدعه وخدومة لكن لمن يستحق , فأنا اعرف ندى منذ أن كنا أطفالا , صحيح لا تنظر لأبعد من موضع قدميها لكنها نقية , تغيظني حين تنظر لكل شيء بعين طفلة , تتحدث بطبيعتها مع الفتيات العاملات هناك , الذين يعاملونها وكأنها ساذجة .

وقت الاستراحة , تأتي إلى المكان الذي اجلس فيه أنا وصديقاتي , تخرج الكيس الأسود التي تخبئه وتخرج منه ساندويتشات الجبن الرومي التي تحبها وتناولني واحدا , فتضحك إحدى الفتيات , أحدجها بنظرة تسكتها , تتغاضى ندى عن تلك الضحكة وتحدثني .

_يا أختي الحاجة هنا غالية , وأنا اللي أشتغل بيه أصرفه ع الأكل ولا إيه ؟

_لا اصرفيه ع الجهاز يا فالحة.

_اهو حاجه نافعة ع الأقل , أصلك لا تعرفي البنات بقت تجيب إيه الآن .

تضحك وهي تمسك بيدي كي تخبرني أنها تتمنى أن تكون قد تزوجت منذ زمن .

_يا أختي كل ما أقول كده تمام , يطلع لك مقدر جديد , نفسي اقفش الناس اللي بتزود وتغرقنا دي .

_إحنا اللي مغرقين نفسنا عشان مركزين معهم يا ندى .

تأكل قضمة من الساندويتش وتؤيدني بلهجة يائسة , لكنها ترى انه الواقع الذي أصبح بمثابة القانون الذي لا يقدر احد على مخالفته , فمن هي كي تفعل ذلك !

الحلم أصله له ناس وناس , ويوم ما تبني يبقى تبني على أساس , واللي يوم داسته الجزم , لابد كل الرؤوس تحت جزمته تنداس ..

قالتها سعاد ل منعم حتى تشد من أزره لكي يحققا ما حلمت به

منعم قناوي

بابتسامة تقترب من البلاهة انظر لها مندهشا , تلك المرأة التي تتلوى وترقص كراقصات القنوات التي أشاهدها خلسة من وراءها , أتفعل هي أيضا ذلك !

بضع دقائق ذهبت بي إلى الجنة وجعلتني اشك أن امرأتي خُطفت واستبدلوها بأخرى , ولكن من يجرؤ أن يخطف سعاد !

جلست بقربي بل أسفل الكنبة التي اجلس عليها , تثني ركبتاها وتخرج كيسا اسود من تحت مرتبة السرير , ثم تعدل الملاءة وتجلس بجواري , تعطيني إياه ,و تصبح ملامحها جدية أكثر من إل لازم فتعود كما عهدتها , لذلك اعتدل واجلس وبدت ملامحي كالجالس أمام صديقه , تلفتت حولها كمن يريد أن يتأكد من سرية الأمر , ورغم أنها تأكدت همست زيادة في الحرص , ربما لأنها موقنة بان الحيطان لها ودان !

_رمضان خلاص داخل , خد الفلوس وافتح المحل .

_سعاد . الحوار مش سهل , ودول شقا عمرك .

_ها تردهم يا منعم ,و أضعاف والنعمة قوي أنت قلبك بس .

ارتاب في أمر تلك المرأة , ما هذا الحماس الذي يملاها , من أين لها به , وهذا الإيمان بان الغد يحمل ولو بعض الخير , من أين آتاها هذا اليقين ؟!

_ها قوي قلبي يا سعاد , ما هو مش معقول تكوني أرجل مني يعني , دي تبقى مصيبة وما أبقى صعيدي .

نضحك بصوت عالي وتسند رأسها على صدري , فأضمها , حينها تستحيل أنثى من جديد , وتتحدث بنعومة وعذوبة قلما تصدر عنها ..

_فشر , ده أنت سيد الرجالة , هو أنا قواني إلا ضللك .

أعلم إنها كاذبة في أصل وشها , وإنني استمد قوتي منها , لكن رغما عني تعجبني الكلمات , من لا يحب الثناء , فأميل عليها واهمس في أذنها مما يسقطها على حجري ضحكا .

هي الرقصة دقيقتين ولا إيه يا وليه , ده الله يكون في عون صافينار على كده !

منعم قناوي

ارص صناديق البيرة في مدخل بيت المعلم الحسيني , حوش كبير ينتهي بثلاثة درجات , تتوه عيناي وسط هذا الاتساع والنساء اللاتي يخطرن في ثياب تذكرني بالصعيد , وأمي التي لم انسها يوما , تتردد في أذني نغمات بحر أبو جريشة , رفيقي في لحظات الحنين والضيق.

تشير إلي سيدة كبيرة تجلس و يحتل جسدها بساقيها المطوية دائرة كبيرة , لم اكن اعرف أن هناك من تفوق أم بدر في الضخامة والسيطرة سوى الآن , فتلك المرأة التي لا تستطيع التحرك من مكانها , تدير كل هؤلاء النسوة بنظرة , حتى انا هرولت نحوها بنظرة , اخذت ما فيه النصيب , وتلعثم لساني وأنا اخبرها إن كانت تحتاج إلى زوجتي فانا لن اتأخر , لا اعلم كيف خرجت تلك الكلمات مني , أعُميت عن تلك النسوة اللاتي يشبهن خلية النحل , لكنها منحتني الشرف بابتسامة وإيماءة , هرولت بعدها منشرح الصدر متمنيا أن ينجح ما ارنو إليه انا وسعاد , وان يكون هذا الفرح بداية لنا .

سعاد حماد

صوان كبير يبدأ بمنصة وينتهي بأخرى , الأولى تخص العروسين والأخرى تخص الفرقة , وأنا في الأعلى كعادتي اشاهد , يغضبني أن منصة العروس هي التي يتم نصبها في الحارة , كنت احلم برؤية الراقصات عن قرب , لو يلين منعم ويوافق أن انزل وأشاهد من بعيد لكنه فرح براقصات وهذا يعني وجود كافة ما يخص هذه الكلمة ,ابتسم حين اتذكر تلك الكلمة المعهودة المنقولة عن فيلم ديني فيما اعتقد .. (اليوم خمر ونساء) ثم احدث نفسي (كل حاجه للراجل ما فيش حاجة تبسط الست أبدا والنبي إحنا مظاليم)..

اراقب منعم في مجيئه ورواحه واسعد انه وأخيرا تغير واستمع إلى نصائحي , انتبه إلى طرق على الباب فاذهب مندهشة من الطارق إذا كان منعم مازال في الأسفل.

اجد امرأتان متشحات بعباءات سود ورائحتهما تفح بالعطر المختلط بالخمر , فاحدجهما بنظرة تُخرج ذلك الطفل المختبئ خلفهما .

_عمي منعم بيقول لك ها يغيروا عندك .

اتعجب من استجابة القدر لي بهذا الشكل ,ربما يريد أن يخبرني بأن النساء ليسوا مظلومون كما اعتقد ,اشير بيدي إلى الداخل فيدخلا تباعا , يختفي الطفل , اغلق الباب واقف خلفه ارمقهما وهما يخلعن العباءات , أجساد مليئة تضوي في عتم الليل , إحداهما تحمل وجها جذابا وساحرا , لكنها شوهته بتلك المساحيق , فهي تعلم أن من بالأسفل لن ينظرون إلى وجهها , لهم وجهة أخرها ليس ضمنها ذلك الوجه .

يجلسان بينما ادخل عليهما بصينية الشاي , اجلس واستمع إلى تلك المرأة صاحبة الضحكة الساحرة والوجه الجذاب , فالأخرى منشغلة بهاتفها والسيجارة التي ما أن تنتهي حتى تبدلها بأخرى , عداء يسري بدمي تجاه هذه المرأة لأسلوبها الحاد , لكنني حين اراها متلهفة لذلك الصوت الذي آتاها بعدما كررت الاتصال منذ أن دخلت , تنهض وتتركنا .

تغمز الراقصة الاخرى لي .

_أصل طليقها الله لا يسامحه واخد الواد ومانعها تشوفه ولا تكلمه .

اشرد معها ومع وجهها الحاد الذي تبدل لملامح أم حنون لا تليق بذلك المظهر الذي تبدو عليه , لكنها الدنيا دائما تجبرنا أن نظهر عكس ما نبطن , أن نكون أناسا لم نتمناهم يوما .

رغما عن إرادة منعم ارتدي عباءتي واخترق معهما صفوف الفرح , هناك نساء من الحارة وأم بدر التي ربما اشاهدها للمرة الأولى تجالس النساء , ابتهج واجد يداها تسقف دونما ادري حين ارى منعم يرقص مع حنفي زوج مرزوقة بالعصا , راجل طبعه صعب لكن ما باليد حيلة

, وعده أن يساعده في التعامل مع التجار وان يكبر تجارته , وهذا الرجل رغم كثرة عيوبه لكنه لا يرجع في كلمته أبدا , صحيح ليس له محل وهذا يؤخره أن يكون في مصاف المعلمين , لكنه أخبث من ذلك وله الحق , ماذا يعني الدكان وقد حصل على مساحة تكبر عن أية دكان في الشارع ودون إيجار ولا ترخيص ولا غيره , عقل مدبر لا بد من مصادقته فمثل هؤلاء الناس صداقتهم كنز , أي نعم شحيح ولا يجود سوى بالقليل لكنه يكفي , على الأقل حتى نصبح ما نريد .

بعدما كنت اتمنى رؤية راقصة حقيقية ترقص أمامي , أصابتني غصة حين رأيت المرأة التي تفتقد ابنها تفتعل البهجة , وتهز خصرها وللتعبير الأكثر دقة ترج كرشها وصدرها , المح وربما اشعر بدمعة تلك الأم , هل لاحظها احد غيري , هل تعدى نظر احد حدود خصر تلك المرأة .

ولابد يوم تقدر تصوم عن كل ما تشتهي , وبكلمة حلوة اخر النهار تلقى المرار كده ينتهي ..

حسين العدوي الذي صام عن كل شيء عدا الامه

نعمة يونس

كأرواح تنقل ألمها عبر الآخرون , نقلت تلك العجوز ألمها عبر روح حسين وفعل هو الشيء نفسه معي , دون أي اتفاق مسبق , فقط إحساس بالذنب والباقي يحدث وحده , عدت إلى منزلي القديم , نظفت العربة ووضعتها أمام المنزل , عاد طيفه يلازمني في كل شيء , اراه وأتحدث اليه , لكنه دائما على مسافة , بالتأكيد ما زال غاضبا مني ..

ادخل الحجرة التي لم تطأها قدمي من قبل , تلك المرأة التي ظننت أنها منحتنا الراحة , لكنها سلبتنا كل شيء , في ليلة واحدة , تغير بعدها حسين للأبد .

اتحسس السرير وذلك القميص الأبيض , ثم اتعجب ساخرة من أن تكون تلك العجوز فتنته بهذا القميص !

اتمدد على السرير , انطوي على ذاتي , انظر عبر الغرفة إلى تلك الطرقة التي تفصل بين الغرفتين , عالمين دخلهما حسين , عالم لفظه والآخر احتضنه , ما الغريب في أن يشعر بالحنين لها ! ابكيه واشعر باختناق انهض على إثره مهرولة خارج الغرفة .

اغلق باب غرفتي , اشعر وكأن شيئا ما يلاحقني ويتشبث برقبتي مستحلفا أن يذهب هذه الروح التعبه , ارى قميصا احمر معلق على مسمار خلف الباب .

اراه واقفا أمامي ممسكا به ومبتسما بغمازته التي عشقته لأجلها .

_ يا راجل الدنيا نهار !

_اللي له حاجه عندنا يجي ياخدها , مش مراتي برده ولا ايه ؟

امسح دموعي وامسك القميص أقبله .

ام بدر

أي نعم عشقها لأجل تلك العباءة الضيقة التي تفتق اغلبها من فرط جمال القد , لكنها الآن على ذمته , ولابد أن تطيعه , ماذا سيقول الناس عنه إذا وقفت على العربة هكذا ؟ ولمَ الوقوف على العربة من أصله , أتحتاج إلى شيء , فتجيبه بما حفظه عن ظهر قلب ..

_تكون فاكرني مختومة على قفاي , انا حفظاك يا أبو عين زائغة , أنا على قلبك فين ما تروح , اهو منه أبقى جنبك ومنه أساعد أبويا .

فكر أن يعترض لكنه لاحظ أن عروقها بدأت رحلة نفورها , وعيناها التي جحظت بشكل مخيف فوافق مضطرا .

بعد أن كانت عيناه لا تفارقها , ترك لها تلك المهمة , تراقبه , حاملا صينيته ..

أخبرني أنها لم تكن راضية عن ارتدائه هذا التيشرت الأبيض الكاشف عن ذراعاه الخمريان , تخجل من روحها تلك القوية حين تشعر بأنها تعشق وتغار , فتمسك له قطع الحديد التي تزن بها وترفع يدها في الهواء أن لمحت عينه تلمع لغيرها , أن كانت لا تزال تلمع لها من الأساس , يخشى على نفسه ويعود لعمله , متأكد أنها ليست من النوع الذي يهدد , أنها مجنونه وقد تقذفه بأي شيء في يدها , أمره لله أنها نصيبه الذي سعى جاهدا أن يكون ويلعن نفسه على ذلك .

بعد أن زهد هاني دكاني وشباك حبيبته الذي لا يبوح بشيء , خفت رجله على الدكان , وتلك الدفعة الجديدة التي لم تكمل سنة تتردد على الدكان اختفت تدريجيا , ذلك الشاب المحب تعلم أن قصة حبه لم تكتمل مثل هاني , وكأن هذا الدكان لعنة تصيب العشاق , والآخر الذي كنت احب شغفه بالحياة والتمثيل , وأكثر ما يضحكني هو أن يقلد احدهم خاصة ممن اعرف , أخذه الصمت شيئا ف شيئا حتى انعزل داخل نفسه قبل أن يبتعد , أحيانا كان يجيء مع صاحبه الذي لا يفارق الكيف أيا ما كان , لكن عقله في عالم آخر , لم يبق لي سوى هذا الشاب (عابد) نعم . ذلك الذي أشبع السوق شجارا , شاخت روحه ورافق ذلك الكرسي مثلي لكنني بالخارج وهو بالداخل .

منذ أن طرده أبيه من المقهى ولم يعد يعمل أي شيء , لم ينل حصته من التعليم ولم يتركه أبوه يتعلم أي حرفة , ألقاه في المقهى منذ أن كان طفلا , ترك أمور بيته ل زوجته ابنة حنفي , أما هو ترك نفسه للهروب ريثما يحدث شيئا يغير حياته .

أتعجب لحال هذا الدكان , اشعر وكأني أصبحت فجأة هذا المدعو (ساهر شفيق) اذكر حين داعبت هاني وأخبرته بان صوتي ارجل منه , لكنه غضب لأنه يحبه كثيرا ويرى ان الرومانسية لا تعيب الرجل , كانوا في السابق عزوة ولو في الامل , انفضوا .. جمعيهم سرقهم جرح آخر ,

(عابد) مثلي يفضل اللهو والشرب عن أي شيء , يستمع جيدا وان كان لم يعط أي نفعا , اترقبه وسط هذا الصمت الذي يكسره أحيانا , منعم حين يمسي في خروجه أو دخوله وسعاد التي تغيرت وبعد أن كانت تكرهني أصبحت تحنو علي بكوب شاي وان تجلى مزاجها يصبح طبق أرز بلبن اعشقه من يدها .

يرن هاتفي فافزع لقد نسيته تماما , ادس يدي في صدري , ثم احكمه على أذني واحفز كل حواسي لذلك الصوت الذي اخشى أن انساه يوما .

_ايوه يا حبيبي , آه انا كويسة الحمد لله , تسلم يا حبيبي من كل ردي .

_أعوز سلامتك , لأ ما تتعب نفسك مادام عندك شغل . أبقى سلم ع العيال .

اقاوم ذلك النحيب الذي يجتاحني كلما غاب عني وسمعت صوته , واصبر نفسي بأنه إذا كان بخير ما يضيرني في ذلك , و بماذا سيفيدني مجيئه , افكر للحظات ويهم لساني بلعن زوجته تلك المرأة التي أخذته مني , لكن أيقدر احد أن ينبت في صدر احد الحب حتى يستطيع سلبه ؟ هو مشغول وأديني أقضي يومي , هكذا اكتم دموعي وأنادي أي امرأة اشتبه أنني اعرفها , واخلق أي حديث معها .

سعاد حماد

اضع الطبق الملفوف بورقة الجرنال على المصطبة ثم اهرول تجاه العربة النصف نقل المنتظرة على ناصية الحارة كي اضع بها الحقيبة , تلك العربة التي تحوي العفش وكل ما يخصني , اعود مرة أخرى , امسك الطبق و اخطو تجاه الدكان , إلى أم بدر الساهمة فوق كرسيها وهاتفها الذي كاد أن ينزلق من بين قبضتها لولا أن لحقت به , مما افزع أم بدر , التي ثبتت ملامحها علي حتى استفاقت فأعطيتها الطبق التي قابلته أم بدر بابتسامة .

_كل سنة وأنتي طيبة , أشوف وشك بخير بقى .

_خلاص ماشيين ؟ عيدوا معانا حتى .

_يعني غاويين فقر , دنا ما صدقت يجي عليه عيد وافرح زي النسوان إن بقى عندي بيت من بابه .

_منعم غلبان وربنا أداه على أد نيته وتعبه .

_ماشي يا خالتي والنبي أخد طبق الكحك تاني .

_يا بت بهزر , ابقي سلمي عليه .. أوعي تنسي .

اعانقها واقبلها , اسير بعدها تجاه العربة بينما رأسي يلتفت مودعا تلك النافذة التي عُرفت بها مودعة تلك الأيام وسعاد التي كانت تبغض الجميع لشعورها بالعجز , وعلى وجه الخصوص منذ ذلك اليوم حين عدت وقد انكسر فيها شيء ما بعد أن سافرت مع مرزوقة , سوف ابدأ حياة جديدة الآن , لم استمع فيها إلا لحكاياتي , لقد آن الأوان أيضا لزيارة الطبيب فات من العمر الكثير ومن حق منعم أن يكون له طفل , ارمق ضوء الشمس الذي ينسل من الحارة شيئا ف شيئا في وقت الغروب وكأنه شيء مدبر أن أتي في غروب وارحل أيضا كذلك , اتسلق العربة التي تنطلق بي بعدما ألقيت أخر نظرة على حارة التعبان

ندى ..... مريم

نجتاز الحارة معا كأصدقاء للمرة الأولى , رأينا عادل فارتبكت ندى لوجودي , ابتسمت وتجاوزتها , ودلفت إلى البيت , المحهما من بعيد , رغما عني فعلت ذلك . ربما للفضول وربما للندم الذي اغالب نفسي وارفضه .

حيره أمرها ظل ينظر إليها بينما لم يبرح مكانه , منتظرا إشارة تأذن له بالاقتراب , ثم يسئم ارتباكها وتبادلهم النظرات كالأغراب فيقرر أن يقترب ويكلمها ..

_مالك يا ندى في حاجه ؟

_لا , بس مش عارفة ليه قلبي بينقبض أما عينك بتقع على مريم أو عينها تقع عليك .

_يخربيت دماغ الحريم , يا بنتي انا اللي حاكي لك يعني لو في حاجه في دماغي أجيب لنفسي صداع ليه .

_ما تزعلش يا صبري والله ما اقصد حاجه , بس بغير عليك اعمل ايه !

_ما حدش يستاهل تغيري منه , وحياة الضلمة اللي كل يوم استناكي فيها دي ما حد مالي عيني وقلبي غيرك .

_أتريق منا اللي عبيطة ومدلوقة عليك .

_يا ستي اندلقي وغرقيني كمان , هو انا أطول .

تبتسم وتدفعه كي يذهب إلى بيته فيفعل بعد أن يدس لها كارت الشحن في حقيبتها , انتابتني مرارة لفقدان حب كهذا , لكن ندى احق به مني , فهو حلمها الذي لم تسعى لغيره , وأنا اتاني ايضا ما اردت , فليرضى كل منا بما حلم ..

رضا المحمدي

قبل العيد ببضعة أيام , اقف أمام باب شقة , بالطبع ليست شقتي , وليست شقة في حارتنا ولا منطقتنا ,أخذت الدلو المليء بالمياه من السيدة التي تقف على باب الشقة , امسك بالخرقة الرمادية التي حتما قبل ذلك كانت جلابية قطن يرتدي إياها احد ما , لقد جار عليها الزمان مثلما يجور علينا جميعا وحولها لقطعة خيش , يُلمع بها السلم التي تطأه الأقدام.

السلمه عريضة وكبيرة , ترهقني كأنني مسحت شقتي بأكملها , صحيح شقتي نظيفة , فمن سيقلب حالها يا حسرة , مريم في الخارج طول اليوم , وأبنائي يطلون كل حين ومين , ابتهج لرؤية درجة السلم تضوي من النظافة بعد إنهائها والبدء في درجة أخرى .

مسح السلالم أي نعم متعب , لكنه أهون من العمل في الداخل , يدور بعقلي ما يحدث مع عفاف ومنى بالداخل , إمارة ونفخة ريش , تلك المرأة التي تتآمر على امرأة تزيل أوساخها ولو مقابل المال , بها علة أكيد , بدل ما تتآمر وتغرم مالها تنظف هي , بعدها ينطق لسان حالي قائلا ...

_يا أختي وأنا مضايقة روحي ليه , هي بتدفع من جيبي .

ذلك الحديث الذي اديره كل مره مع نفسي يهون الوقت علي , ثلاثتنا قررن أن تلك أخر مرة نعمل بها هذا العمل , الأولاد وكبروا والصحة بقت على القد , والعيشة أهي ماشية , الكثير فيها مثل القليل .

في طريقنا للعودة مرتديات العباءات السوداء والطرح الملونة عدا عفاف التي رغم مرور خمس سنوات لكنها مازالت ترتدي الأسود على زوجها وان عاتبها احد على ذلك , ترد قائلة ..

_يوه . لو محزنتش على سعيد احزن على مين , هي كانت عشرة يوم !

تمسك كل واحدة منا ظهرها بيدها متألمة ونحن واقفات في انتظار الأتوبيس الذاهب إلى إمبابة .

وكلما جاء أتوبيس امتلأ قبل أن نصل إليه , فنجد انه ما باليد حيلة لابد أن نسترد شراستنا .

ما أن نتجاوز الشارع الطويل حيث نزلنا عن سلم الدائري ومررنا به حتى وصلن إلى الساحة التي تذكرنا بالكثير , على يسار عفاف تلك المروج التي رأت سعيد وصاحبه كثيرا بها حين تذهب كي تلقي بالماء الوسخ في الترعة .

منى تذكر تلك الأيام التي أخر ما كانوا يستطعن الخروج إليه هو هذه الساحة , وما سمعته حينها عن القلق الذي يحدث بالخارج من سيطرة ما يدعون بالإرهاب في هذا الوقت وربما كل وقت , وفي نهاية كل ليلة تخبر منصور عما تسمع وأنها لا تريده إن يرافق هذا الرجل , يبتسم ساخرا , ويخبرها أن هذا كله مبالغ فيه , وأنهم أناس يطبقون شرع الله , ما المخيف في ذلك !

انا المح ذلك البيت الكبير الذي دخلته ذات مره في طفولتي مع جدتي , صالة .. لا اعلم أن كان صحيحا أن يدعى ذلك المكان الواسع صالة أو حوش بيت , يشبه السرايا , اذكر رد جدتي التي صحبتني إلى هناك كي انظف البيت , يبدو إن الشقا وراثي عندنا , أخبرتني بأنها بالفعل كانت سرايا لأحدهم الذي يدير هذا الجزء من العزبة التي كانت عبارة عن رقعة زراعيه كبيرة تتبع أحدهم , ما ساعدني في فهم الغاز جدتي هو رؤية مسلسل الوسية , لكن الفارق , انه لا يوجد الان سوى الفقر , و خادمون لا يعرفون حتى من أسيادهم !

يصل كل منا الى بيته , ليس بنا حيل لوقفات النواصي كي نحكي كعادتنا , فالحيل كان مهدود والعقول مليئة بالكثير , كل منا دلف الى بيته مودعا البقية بابتسامة تحمل الكثير ..

عن هذه الليالي , التي تنشكح فيها دون سبب , ربما لأنك ترى ان عدم وجود اسباب للألم , سببا وجيها للسعادة , عن ليلة العيد التي يضاعف بهجتها ذلك الانتظار المبالغ فيه لها .. عن النهايات التي دائما ما ترسم نفسها دون تدخل منا حتى وان ظننا ذلك , او جاءت مثلما نتمنى .

هاني مرددا هذه الكلمات حين لمست يداه جميلة بعد حلم طويل ظنه عصيا

منعم قناوي

المسلسل الهندي الذي لا أعلم متى سينتهي , وربما يكون مسلسلا اخر لكنني اشعر انه نفس المسلسل الذي لا تمله أم بدر , في غرفتها الضيقة , اركز بصري على التلفاز الكبير المغطى بقطعة قماش بيضاء مؤطرة بكلفة حمراء ..

نجلس انا وهاني على الكنبة التي تجاور السرير التي تنام عليه أم بدر , يمحو وجودنا مرارة الوحدة ومجيء ابنها الذي لم يكمل اللحظات , شاهدنا المسلسل رغما عنا , وقمت بعمل شاي بلبن وأخبرها هاني بطلاق جميلة وان موعد زواجهم بعد أسبوع .

تضحك ويتذكر هاني وهي جلستهم ومراقبته إياها عبر النافذة , تداعبني من أجل هيئتي التي تغيرت , فهي ترى أن مرادف منعم الجلباب الزيتي , لكنني الآن أرتدي جلباب أبيض حرير وعباءة فوق كتفي .

_لائق ف المعلمة يا واد .

أخجل وأضحك , نجدها وقد غطت في النوم فجأة وهي تتحدث إلينا , نسحب نفسنا ونذهب , تشحذ الونس لهذا لم نوقظها أثناء رحيلنا , دس كل منا يده تحت وسادتها ثم أغلقنا نور الغرفة وتركنا صوت التلفاز الذي نعلم أنها لم تغلقه أبدا.

رضا ..... منيرة

اتململ من رقدتي الطويلة على ذلك السرير أمام التلفاز , انهض وأسير نحو الشرفة , اتأمل ذلك الشارع الواسع , مجرد سيارات تأتي وأخرى تذهب , شرفات مغلقة على أصحابها , مكان جميل لكنه يشبه الورد الصناعي , لا روح ولا ريحه , ما الذي تحبه مريم في هذا المكان ؟ هذه العزلة !

_يا أختي ده لو الواحد صوت من هنا لبكرة ما حد ينجده .

امسك هاتفي واطلب رفيقة العمر منيرة , ثم انظر إلى الشرفة ربما يعيدني ذلك إلى الأيام الخوالي حين كانت تخرج أيا منا فتجد الأخرى .

اترك حاجب الفتاة التي فتحت عيناها على المرآة وقامت لتقترب أكثر لترى ما تريد تعديله , مازلت امسك الملقاط بيدي واجلس على الكنبة واسند ظهري , وقد فردت ساقي التي برزت من فتحة العباءة ..

هذا الكوافير الذي فُتح في أخر أيام رمضان , رفيقتي غادرت الحارة وسعاد أعقبتها حتى ابنتي تحقق حلمها وارتبطت , فكرت انه ليس في الأمر عيبا ان اعمل بهذا الكوافير , بالتأكيد يعد ونسا واقل جهدا من الأعمال التي قمت بها قبل ذلك , كل هذا مر ببالي في هذه اللحظة التي رأيت فيها رقم (رضا) على هاتفي ..

_رضا ! والله أتمدنا وبقينا نتكلم ف المحمول اهو .

فتجيبني بخفة دمها التي احبها وتهون علي الكثير ..

_بت يا منيرة ها تفضلي تتريقي هقفل ف وشك .. بس مش هقدر وحشاني يا مضروبة .

اقوم من جلستي حين تشير إلي الفتاة ممتعضة , اقترب منها بالملقاط وقد دسست المحمول في الإيشارب ..

_والنبي وأنتي كمان وحشاني , بس ما حدش يعرف أراضيكي يا أختي ولا نروح لك أزاي .

أُرد وأنا اضحك ..

_هاجي أنا وأجيبكم نقضي يوم هنا , ها تتبسطوا بالذات البت سعاد انا عارفه .

تنقلب لهجتنا وكأننا تذكرنا حالنا البائس ..

_يا ريت خلي الواحد يفك شوية , مبسوطة يا رضا ؟

_من امتى سألنا نفسنا السؤال ده يا منيرة .

_على رأيك يا أختي , مخلوقين للهم , الحمد لله على كل حال .

تتأفف الفتاة من عدم تركيزي معها , فاخبر رضا إنني سأحدثها مرة أخرى وأغلق الهاتف واضعه في صدري , اعود لعملي التي لا اريد خسارته ..

وأعود انا بعد أن اضع الهاتف بجانبي إلى مشاهدة التلفاز , يبدو انه الونس الوحيد المتاح وقتما تشاء .

حسين العدوي

في أخر كل ليل اقف أمام عربتي , متخفيا كشبح كما يحبون ان يروني ويصفوني مؤخرا , ماذا افعل بها الآن .

اعلم أن لا شيء يندثر تماما , الكارو له استخدامات الآن أيضا , ابتهج حين اتذكر عربات الكارو أيام العيد ,ثم اشمئز حين ارى نفس العربات بأصحابها يجمعون القمامة , اضحك واخبر نفسي أن هؤلاء هم حسين عصرهم , حتما تشمئز نساءهم من تلك الرائحة , وربما يتبرأ أبناءهم من مهنتهم هذه , وقد يكون العكس ف المقياس دائما المال , فهل جامع فضلات البشر الذي يبيعها كسماد لا يسوى ولم اكسب منه سوى القروش , ك جامع القمامة في هذا الوقت . ...

أثناء سيري الذي تعلقت به مثل عربتي تماما , المح المرأة التي تلم روث الماشية , الوجه الخمري المستدير , والقد الذي امتلئ كثيرا , لم تعد تنظر إلى الأرض ولا ترتدي تلك العباءة القذرة , تجلس أمام منزل مكون من طابق واحد ويحيط بها القصب , فتلك هي مهنتها الآن , بائعة قصب و ذرة مشوي , تفترش الأرض وتمسك بيدها قطعة من الكرتون تهوي بها كي تتوهج نار الفحم لترص بعدها كيزان الذرة بعد أن أزالت عنها قشرتها الخضراء ووضعتها جانبا ..

امد يدي بالمال مثبتا نظري عليها , فتبادلني بنظرة خاطفة تسألني بها عما اريد , ابتسم واقترب منها اشم رائحتها وأكاد اكون لمستها كي اتأكد من كونها حقيقية , اتأمل وجهها للحظات تبهجني وترد جزءا من روحي الذي اشعر بأنها غادرتني , اعطيها المال ثم امد يدي وأخذ أخر (كوز ذرة)مسته يداها , لم انتظر حتى تعطيني الباقي , ذهبت ونظراتي تبعتها وهي تمسك بالمال ثم أخرجت السيالة من صدرها , تشد ذلك الاستيك لتضعهم ثم تسحبه مره أخرى ..

رحلت وأنا افكر هل رأتني أم خيل لي , هل ظنت انني شبحا مثل الجميع , الى متى ستلازمني هذه الأفكار ولم هذا الاستسلام لكوني ميت , لابد من حياة حقيقيه او موت ينهي كل شيء ..

ليست العبرة في النهايات بل فيما وراءها , فيما سيحدث بعد ان نحصل على ما نريد , بعد ذلك الاقتراب من احلامنا وسعادتنا , هل ستصبح نهاية حقا , خاصة لهؤلاء الذين كتبت لهم النهايات التعيسة أم دائما هناك امل ..

مريم تخبر ندى يوم ان افترقا وسلك كل منهما خطواته تجاه ما يريد

نعمة يونس

في ليلة شتوية تتشابه كثيرا في ظلمتها وبرودتها مع تلك الليلة التي تحسس حسين طريقه إلى غرفة أم أحمد , شيئا ما يجذبني تجاه تلك الغرفة , اسمع همهمة , هل أشباحهما , لكنني هنا منذ شهور ولم اشعر بأي شيء , لمَ يراودني شعور اليوم والآن بالتحديد بان هناك شيئا ما يحدث في تلك الغرفة ..

اخطو مرتجفة تجاه الغرفة التي اخشاها واكرهها أكثر من أي شيء , اراها وصاحبتها لعنة أصابت حياتنا , امسك هاتفي الذي لا استخدمه لشيء إلا ليطمئن علي يونس الذي اشتراه لي , لكنني كثيرا ما استخدمه كشيء اضيء به , فأكثر ما اخشاه هو الظلام , هكذا اقتربت من مقبض الغرفة وفتحته , حينها سمعت تأوهات تعجبت لها , وما أن أضئت مصباح الهاتف حتى رأيت ابنتي ومتولي عاريان ..

نستلقي في مواجهة بعضنا على السرير الذي حملها صغيرة , كم كانت تبغض ذلك البيت وتلك الغرفة حين كانت صغيرة . بعد صمت ونظرات تتهرب منها حنان لأنها تعريها , لن الومها فانا اعرف الاحتياج جيدا , خاصة أن ابنتي قاربت من عقدها الرابع , احاول أن احادثها بقلبي الذي تمنيت لو كنت استمتعت إليه من قبل ..

_تزوجيه يا بنتي , لا هو عيب ولا حرام .

_ده ف رقبته مره وعيلين ياما , صبرت عشان أصوم على نص ولا تلت راجل .

_هو اللي عجبك دونا عن الرجالة كلها , والست عاوزة ايه غير راجل يملى عينيها .

تحمر خدودها وتبعد وجهها عني , احتضنها واخبرها مازحة ..

_أخيرا شوفت لك خدود بتحمر زي البنات .

_ما خلاص يا نعمة أنتي ها تقطميني .

حنان حسين

بعد وفاة أمي لم استطع العيش هناك وحدي ,احضر في الليل متخفية بنظارة تبتلع وجهي كما في الأفلام , ثم يعقبني متولي , رغما عني اريده , عمري الذي انفلت من بين يدي يرد إلي بين ذراعاه , لقد عشقنا هذا الوضع وتلك اللحظات التي نسرقها .

الزواج أمره معقد , متولي يخشى زوجته ويطمع في أموالها , لا يريد خسارتها , لكن تلك النائمة إلى جواره تريده لها في النور , تريده لها شريكا في كل شيء وليس في الفراش فقط , فقط ورقة تضعها في عين أي شخص يؤذيها بكلمة ..

تتغير أحلامنا بتغير الأيام , قبل أعوام ظننت أن المال كل شيء , رؤيتي ل متولي بعد هذه السنوات , ذكرتني أنني لم أكن أحيا بدونه , فهو الوحيد الذي ذكرني بأن لي قلب , بأنني انثى رغم مرور العمر , أحتاجه هو أكثر من أي شيء , لكن هل يراه حقي , هل يريد ذلك هو

ايضا ؟

لكن كيف , انا لن اقبل سوى بزواج شرعي وفي العلن , استحق ذلك , تلك التي تجذبه وراءها لاهثا حتى يأتي لذلك المكان كي يكون بين أحضانها , تستحق أن تكون زوجته .

ذلك اليوم الذي اعتبره البعض يوما عاديا أو حتى فرحا عاديا لإحدى فتيات الحارة , لم يكن كذلك على الاطلاق , فقد فتح اعيننا على الكثير , لقد ذكرنا بتلك الليالي التي حاولنا جاهدين ان نتناساها ووضعها نصب اعيننا , وجعلها سببا لخروجنا من الظلمات الى النور ....

رددها منصور عبد القوي وهو يلمح ابتسامة منى وهما جالسان على الشط وينظران إلى المياه الزرقاء

منصور عبد القوي

لم اختبر فرحة ابو العروس بهذا الشكل من قبل , اتذكر يوم تنجيد شيرين , في نفس المكان بذات الاشخاص , كثيرا ما يتم التنجيد في ذلك الاتساع الذي يراه اغلبنا رأس الثعبان , اقصد عطفة أم بدر كما أسميناها بعد ذلك ..

المنجد ذلك الشخص الطويل جدا حتى يبدو لك وهو جالس أنه يتعدى طولك وأنت واقف , ويجاوره اثنان كل منهم يمسك ابرة كبيرة يخترق بها المرتبة , اندهش لسرعته وقوته التي تدب الإبرة في ذلك الحجم بتلك السرعة والدقة , رغم وجهه المعفر وذلك من اثر وضع القطن في الماكينة , لكنه سمحا وجادا في نفس الوقت , يحتسي الشاي بهدوء وثقل , لا يرفع عيناه إلى هؤلاء النسوة اللاتي يتراقصن بجواره , يستمر في نغز تلك الإبرة في حواف المرتبة مثبتا الدمور بالقطن حتى يستحيل هذا الشكل مرتبة , صنعته تتجلى حين ينفرد باللحاف يبدو كعازف وآلته هي تلك الإبرة , .. نادرا ما يتابعه أو يهتم لأمره أحد غير تلك اللحظة التي تلقي فيها إحداهن ب خمسة جنية وربما أقل في حجره لتعود بعدها للرقص بقلب جامد مع أم العروسة ..

كانت أول مرة يرون فيها ذلك الاختراع الجديد المدعو (بالدي جيه) , لم يلقى صدى لدى عفاف ومنى وجيلهما فقد اجتمعن في حلقة يجلسن على حصيرة , نادت منيرة على فتاة تدعى مايا , ولم تنس أن تعلق على الاسم , ثم طلبت منها أن تحضر طبلة الست زاهية , طبلة قديمة مكسور نصفها لكنها تقضي الطلب , تمسك بها منيرة بعد أن قامت بتسخينها وتبدأ بالغناء وصوتها المميز الذي يحتوي على الكثير من الأنوثة .

البنات فرحين بهذا الشيء الجديد الذي يحتوي على كل ما يعرفونه من أغاني , فهو يشبههم حاضر دائما , متعجل , ليس لديه أي شغف .

كم يختلف اليوم عن الامس بل انه يتناقض معه , ارى بهجتهم وابتهج لأجلها , لا يوجد الان ذلك المنجد فقد تجاوزته التكنولوجيا واستبدلنا قطنه بالإسفنج , اعتدنا ايضا على هذا الشيء وضوضائه , واعتدت انا وهذا اغرب ما في الامر ان استمع الى الاغاني دون ان اشمئز , وان ابتهج دون شعور بالخوف من ان يكون في ذلك شبهة خطأ يغضب الله ..

منعم قناوي

ذلك الفرح وكون الواحد تجاوزا قبل على نفسه ان يكون مرمطون للبعض , وصديقا للبعض , ناهيك عن حرص سعاد وتخطيطها , وصلنا إلى هذا المكان والمكانة , أصبحت أملك انا وسعاد دكان كبير يمتلئ بكل شيء , ولا تنفض عنه الزبائن , لا تنفك تبخره , وتضع الايات القرآنية والخرزات الزرقاء خوفا من الحسد ..

اضحك وأنا انظر اليها , كم تختلف هيئتها في الليل عن النهار , تعود بالنهار سعاد التي اتابعها تأتي بال جوالات كي تفرغهم في الأقفاص والمشنات الكبيرة , من أين يأتيها الصحة والشغف لكل شيء , كيف تتحول إلى تلك الأنثى التي تنسيني كل شيء في الليل .

ترمقني بنظرة جانبيه و تعطيني ظهرها بينما احتسي الشاي ,تقترب مني وتمسك يدي فتفلت تلك السيجارة وتأخذ كوب الشاي لتحتسي أخر رشفة , ثم تنظر إلي كي انهض وأشوف شغلي على حد قولها .

اقف بجوار الدرج وكفتي الميزان , مهمتها هي إفراغ الجِوالات ومراقبة النساء .

تشرد أوقات في مراقبة الطريق , والنظر عبره إلى هنية التي كانت تساعدها أحيانا مع رضا , مرزوقة التي تقف وحيدة وأصابها شيء من العجز , فبناتها تزوجن , عدا تلك التي تأتي أحيانا لمراقبة زوجها , وأصبحت تحمل ابنتها التي تشبهها كثيرا في ذلك العمر , زوجها حنفي وابنه مازالا بقوتهما , أن استكان حنفي بفعل السن رد إليه ابنه تمرده ..

تلمح أم بدر قادمة ف تحضر لها كرسي وتهم في تنقية أفضل ما عندها , نعم أنها سعاد التي لا تخشى أحدا , ولا تحب أحدا غيري , لكنها تحمل لهذه المرأة شيئا من الود وكأنها أمها .

تأتي علي انا ايضا أوقات تشرد فيها نظراتي مع ذلك المحل الذي تقربت من الحسيني وحنفي كثيرا كي احصل عليه , فكلاهما بخيل , لكن بهما بذرة الصعيدي الذي لا يتخلى عن ابن بلده إذا ما تعشم به , اضرب كفا بكف كلما مر يوم واقتربت سعاد مما تريد .

هل أصرت على الوصول حتى جعلت القدر يستجيب لها , أم انه مقدر لها و كانت تشعر بذلك .. تلكزني حتى اغلق الدكان العالق في يدي منذ فتره كمن تسمر مكانه . اغلقه وتضع يداها في يدي وتحاول أن تتلبس تلك الأنثى الليلية من جديد .

يوم أن نفضنا همومنا في هذا البحر العميق ..

منى يوسف

يا أخي أنت لا تعلم حكمة الله في أي شيء يمنعه عنك , من قبل جلسنا هكذا , غرقنا في بحر ذكريات ألمه غلب كل المشاعر الأخرى , نحمد الله أن تلك الرحلة التي نظمها يونس حينها لم تكن مبهجة للحد الذي نندم عليه , ايضا البعض حتى من ذهبوا فيها اعتبروها كأن لم تكن , لذا نشعر جميعنا بأن هذه أول مرة تضمنا جميعا خارج الحارة ..

اجتمعنا ل ثاني مرة في دكان أم بدر , رغبت ونحن معها أن نسهر الليل سويا حتى موعد الرحلة , ربما نصلح ما أفسدته السهرة الأولى , تبدل حالنا جميعا عن تلك السهرة , سعاد ترتدي حلي وعباءة مزركشة لم تكن لتحلم بها من قبل , ورضا ترتدي لأول مرة في حياتها بنطال وبلوزة , وأنا لم تتبدل حالتي كثيرا , لكن منصور قد وافق أن أرتدي طرحة وعباءة ملونة بدلا عن الخمار , عفاف الذي كسرها فراق سعيد , لكنني ألححت عليها كي تغير الأسود , من قال أن الحزن في الألوان ! ظننت أننا هكذا قد اكتملنا لكننا نسينا أهم من مروا بنا ومررنا بهم حتى الفيناهم قادمين نحونا عبر الدكان ..

حنان حسين العدوي وجميلة فريد , لم أذكر أنهم كانوا رفاقا من قبل , لكن أرى أن ذلك ليس غريبا , اختلافهما يجعل ذلك واردا , غير أن حنان لم تكن لترضى أن يستحيل عليها شيء , حتى ذلك الذي يقف مع يونس وتبادله النظرات الهائمة , نعلم أن بينهما شيئا ما لكن وجودهما هكذا في وضح النهار يقول أن هناك جديد سوف يُكشف عما قريب ..

هذه آخرة الثرثرة , سبقوني إلى الأتوبيس ولم ألحق منصور كي أتأبط ذراعه وأزهو بهذه اللحظة ..

سعاد حماد

ما إن وضعت قدمي في الأتوبيس وأصابتني تلك البهجة التي بحثت عنها كثيرا حتى ذلك اليوم الذي بدء مبهجا جدا وأنتهى غير ذلك , أبصق في عبي وأخبر نفسي أنه بالتأكيد هذا اليوم غير ..

وقت الغسق هو انسب وقت تنظر فيه إلى العزبة , وعلى وجه الخصوص حارة التعبان والساحة التي تفضي إليها , يبدو شكلها من الأعلى وتعرجاتها التي تشبه ثعبان حقيقي يتحرك وقد استكان لوضعه هذا فحنطوه حتى استحال حارة , في الصباح الصيفي تجدها , هادئة , لا يكسر تلك الحالة سوى الرجال الذاهبون إلى أعمالهم , ولأننا في الصيف فمرحومون نحن من زحمة الأطفال وبكاءهم ,وعبوس الأمهات اللاتي يجرجرن هؤلاء الصغار إلى الجحيم الذي سمي عبثا مدارس !

على ناصية الحارة تقف سيارة نصف نقل , يحيط بها أطفال صغار , بنتان وولد تقبل مرزوقة نحوهم وهي تحمل طفلتها أخر العنقود الذي يتبرأ منه أي نوع من السكر لكنها ابنتها ومؤكد تراها بعين أخرى , تعطي الطفلة لإحدى البنات , التي اشتد عودها ومر بها خراط البنات وكعادة أسرة مرزوقة أخذت نصيبها وزيادة .

تمسك الحقيبة وتضعها في العربة , تطلب من الولد أن يركب حتى يضعها في المقدمة , تفرد ذراعها حتى يتسلقه ليركب ويعقبه الفتاتين اللتان تبادلا حمل الطفلة حتى عادت لأمها التي تسلقت السيارة دون مساعدة احد , قد يكون فيها هذا الطابع الرجالي , لكنه أيضا جنون الفرحة , تجمع أولادها وتصفق وتغني .

ذاهبة إلى أين تلك الأسرة وفي ذلك الوقت تحديدا ! هكذا تساءلت حين نظرت من النافذة ولمحتهم , أطلت النظر إلى تلك البهجة التي تشع من مرزوقة وصغارها , ذلك الشجن الذي أصابني لرؤية بهجتهم أظن انه نفذ إلى عروق مرزوقة حتى تنظر إلى , رغم المسافة التي تباعد بيننا , فتترك الطفلة في حجر ابنتها , وتنزل عن العربة قفزا كطفلة , تخطو مقبلة نحوي مما أصابني بالفزع , حينها انكمشت حتى تحولت إلى عينان تراقبان في قلق , لماذا اقتربت مرزوقة أتعاقبني على التلصص!

تعرف مرزوقة طابعي , فقد سمعت عنه الكثير , لكنها تعرف الغربة والفقر , شيئان اختبرتهما جيدا ..

تبتسم مرزوقة , فأطمئن وارفع قامتي , عيناي تتساءل وفمي ما زال خائفا , حتى أتت أسفل المنزل وجاءني صوتها .. كان عذبا على غير العادة وربما تخيلت ذلك من الفرحة .

_تيجي معانا يا سعاد ؟

_معكم فين يا خالتي !

_إسكندرية يا بت , والنبي تلاقيكِ عمرك ما روحتي هناك زيي .

_آه والنعمة , بس ما أظن منعم يوافق .

_لا تنعي هم أبعت له عمك حنفي يكلمه , يا أختي خلينا نفرح شويه .

ابتهجت وهرولت نحو منعم أوقظه وهو متشبث بنومه وحلمه , أيوجد حلم أجمل مما أعيشه الآن .

جميعنا في السيارة مختبئين بملاءة حتى نعبر البوابة هكذا طلب مننا حنفي , الأمر لم ينجح , لكنه مر على خير , أليس مسئولو المرور بشر , الم يحلموا قبل ذلك بالذهاب إلى مكان يغسلون فيه همومهم .

خلعت الطرحة وتركت ملامحي تداعب الهواء الذي يشبه نسمات الجنة , لم تمر دقيقة غير وأنا انظر إلى مرزوقة واشكرها , وأقول في سري , صحيح إن الناس لبعضها .

رضا المحمدي

لحظة دخوله الساحة واستقراره عند باب حارتنا , جعلتنا نشعر أن هذه لحظة تاريخية لابد أن نظل نذكرها لسنوات كثيرة , ربما كان أول أتوبيس يدخل هذه المنطقة , غير انه ذاهب إلى إسكندرية , وهذا شيء ليس بقليل .

كان هناك الكثير في انتظاره , نساء وأطفال ورجال , منيرة وابنتها ندى , أم بدر وهاني , أنا وأولادي , عفاف وزوجها وابنها محمود , حنان التي أخذت تنظم ركوب النساء وتضع الحقائب في أماكنها , وتطلب من كل امرأة وضع ابنها على حجرها , حتى يستقر أمر الأتوبيس فتنادي لأخيها الذي احضر والدته وأجلسها في أول كرسي , ثم جلس على كرسي القيادة وحنان إلى جواره , بعدها أدار الكاسيت وانطلق , مبتهجا ينفث دخان سجائره , فقد شعرا هو وحنان حين تبادلا غمزه وابتسامة ذات معنى , إنهما قد أصبحا ضمن الحارة فعليا ..

منيرة جلست بجانبي , أخذنا نتحدث عن حياتنا وهمومنا , لكننا تذكرنا أن هذا يوم للبهجة , لنسيان كل ما يخص أمر الحارة وهمومها , كيف ذهبت عيناي إلى عفاف وسعيد لا اعرف , لكنها حين أمسكت بذراعه وحطت رأسها على كتفه تضايقت , فهذا طبعنا , لابد أن ننظر إلى ما ينقصنا حتى ننغص علينا عيشتنا أكثر ما هي ..

محمود جالسا بينهما تارة يستمع لهم وتارة تلفت نظره ابتسامة ندى , قرد هذا الولد الذي أنجبته عفاف بعد زمن , متعجل في أمر الحب , ربما لأنه ابن حب , هذا أراح قلبي وجعلني احلم بغد أفضل ل ندى ومريم , اللذان يجلسان بجوار بقية الصغار ومن في عمرهن في أخر الأتوبيس , نفس ضحكاتنا بالأمس وربما ملامحنا , لكنني اشك أنهم يملكون نفس أحلامنا , فكما الأيام تتغير كل شيء أيضا يتغير .. .

بالفعل كل شيء يتغير , نفس الأتوبيس يحمل نفس الأشخاص لكنهم تبدلوا , منا من أخذه القدر والبعض الأخر رده القدر إلى نفسه .

أتابعهم هذه المرة , عفاف يجالسها محمود وما أشبهه بأبيه , ربك دائما عادل , فرحت ل منى التي تجالس منصور والبسمة لا تفارق شفتيها , منيرة إلى جواري تلكزني حين تراني انسى نفسي في مراقبة الركاب , لكنني أبعد يدها واستمر في المراقبة , يجذبني الثنائيات الجديدة , حنان وهذا الشاب الذي يبدو أنها قررت أن ما بينهما لن يمكث سرا , بيد أنها لم تحتج إلى هذا فنحن جميعا نعرف بشأن علاقتهما ..

هاني هذا الشخص الملائكي الذي ابتسم له حظه بعدما كان على حافة اليأس وجمعه القدر ب جميلة ..

ما أضحكني من قلبي سعاد ومنعم , لم تتغير سعاد ما زالت كما هي , منعم الصعيدي الحقيقي أيضا كما هو ..

أنهيت التفحص مثل مشرف الأتوبيس , ثم ثبت نظري على هذا التلفاز الذي وجدت عليه مشهد من فيلم , لا أعرف الفيلم ولم يشغلني ذلك , أخذني مشهد البحر وصوت الموجة ..

صدقت منى حين قالت أنها بالفعل أول مرة لنا خارج الحارة , جميعنا نشعر بذلك ..

أم بدر

صف من الحريم الجالس فاردا ساقيه , وكأنهن في جلسة نسويه وأقدامهن قد أصابها التنميل ف أخذوا راحتهم بزيادة , تعلو أصوات ضحكاتهن حين تباغتهم الموجه وتنتفخ جلابيبهن , يقمن وتتكئ كل واحدة على الأخرى في محاولة للتحرك ومواجهة الموجة أو اللعب معها , فتسقط واحدة وتليها الأخريات , في هذا الوقت يظهر البنطلون التي ترتدي إياه كل امرأة تحت جلبابها ,يلخمهن ذلك الجلباب الذي يلتصق كل ثانية بأجسادهن الممتلئة ,وحين يبدو مقبولا بعض الشيء , يجدن رؤوسهن عارية لم يكتشفن ذلك بل غطاء الرأس من يخبرهن حين يجدوه يطفو أمامهم , تفزع كل واحدة ثم تصرخ ضاحكة وقد أمسكت بما يخصها , تعصره وتربطه جيدا على رأسها .

أرى سعاد تسير على الشاطئ ما بين إقدام وإدبار لمشاركة نساء الحارة , أعلم أن هذا المشهد يذكرها بمشهد آخر ..

على مقربة منهن مرزوقة وسعاد يقفان تمسك كل منهما ساندويتش , ينظران إلى النساء ويضحكان , فتأتي امرأة من الخلف تدفعهما إلى المياه فتسقط مرزوقة وتختفي لتظهر بعد ذلك بدون حجاب ليظهر شعرها المجعد الذي بالكاد يصل إلى كتفها , تنظر أمامها بغضب يشبه الانفجار المكتوم , تريد أن تعلم من تجرأت على فعل ذلك , فيخيب أملها , تسحب غطاء رأسها الذي طفا أمامها سريعا , ثم تخرج من المياه تاركة سعاد , التي وقفت في الماء وبدا عليها الانكسار .

أناديها كي تشاركني أنا الجالسة على المقعد كي أتفرج فقط , وماله هذا شيء ليس سيء , يكفي أن هناك بحر ونسمة حلوة , و ونس ... تكفي الأخيرة فقط .

حين تأتي وأشير إليها بالجلوس , تمصمص شفاهها وتخبرني ..(وقد أتينا من أجل الجلوس , هيا استندي علي كي نجالسهن على الشاطئ) ..

انهض ببطء , تجوب البحر عيناي , وأفكر انه لا ضرر من السير إليه , ولو نلت فقط شرف ملامسة شاطئه ومداعبة مياهه .

منى يوسف

لم اصدق ما اراه , نظراتي مترددة بين منصور والبحر الذي تمسه قدمي , يبتسم ويضمني , شعور تمنيته كثيرا ولم اعرفه منذ ان كنت مراهقة , يحدث الان وفي هذا العمر وبعد ما مررنا به , غريب امر الدنيا , نظل نسعى خلف الاشياء وحين يصيبنا التعب ونقرر ان نستريح تأتِ الينا , تبهجني نظرة منصور الباسمة , وإمساكه بيدي كمن تعارفا حديثا ويعيشا قصة حب ..

اشير الى عفاف كي تنزل معي ونتذكر فيلمنا المفضل , تتردد لكني اذهب اليها واجذبها إلى البحر , نعم انها حزينة على فراق زوجها , لكن ليس من حقها ان تدع الحزن يسرقها هكذا , لابد ان نحيا ما دمنا فوق التراب , الى ان يشاء الله ونصبح مثلهم تحته ..

على اثر ضحكاتنا اتت كل من رضا ومنيرة وجميلة وحنان وسعاد , تذكرنا تلك الليالي حين لم يكن يجمعنا سوى مشاوير المياه , ينزلق غطاء شعرنا فتضحك عفاف .

يتذكرن ما حدث من قبل , جمدت ملامح سعاد ل ثوان لكنها اتبعتها بضحكة طويلة اظنها محت لحظة ارادت ان تمحيها وفعلت , رضا ومنيرة بدا شعرهما بلون ذهبي ظهر انوثة منيرة , وجعل من رضا امرأة مليحة ربما لأول مرة ..

اجد هاني وقد اتى من خلف جميلة ممسكا بها وقد قبلها غير مكترثا لمَ نقوله أو نفكر به , ثم اعقبه متولي الذي حمل حنان , ومنعم الذي عانقته سعاد , فكرت ان اذهب انا الاخرى الى منصور كي نكمل هذا المشهد الرومانسي الذي قلما تشهده حارتنا او اهلها , لكنني تذكرت عفاف , فقررت ان امسك يدها ونخطو تجاه منصور ونأكل شيئا ما , لحين انتهاء هذه الرومانسية ..

أم بدر

ذلك الأتوبيس هذه المرة قد جمع الحارة بحق , وربما كانت لحظات سفرنا مثل مجيئنا لا ينغصها شيء , نزل كل واحد قاصدا بيته , وجلست على الكرسي انتظر توكتوك يمر أو شابا اعرفه استند عليه كي اصل إلى منزلي , يأتي ذلك الشاب الملتحي , يجد الحارة ساكنه وانا اجلس بالكاد يراني بسبب الظلام الذي بدا يكسو الحارة وقت المغرب , صوتي الذي خرج حين سمعت خطوات تمر بقربي , هذا ما نبهه لوجودي , ينظر للدكان المغلق , وللحقيبة الصغيرة التي بجانبي , احاول الوقوف فيساعدني .

_طب أروح أجيب التوكتوك .

_مش لازم , اسند عليك لحد ما أوصل .

_مش بشوفك ليه يا وله , ذقنك دي غيرتك وملت قلبك بالقسوة .

_والله أبدا , هي بس مشاغل .

_يا دي المشاغل اللي معلقين عليها قرفكم كله .

نصمت ونسير لا يصدر عنا سوى صوت الخطوات .

_كله مشي , هاني ومنعم , وأنت وغيرك , مهما تهرب من قدرك مسيره يلازمك ..

يزيدني صمته على سرد آلامي , فانا الآن مثلهم جميعا اريد أن اتخلص من الألم الذي بداخلي , يكفيني انه يستمع .

_كنا في مصيف , منصور ربنا هداه وحب يعوض منى , البت دي صبرت كتير واستحملت عشان كده ربنا عوضها , هاني كان زي بتوع السيما عمال يشيل جميله في الميه ويبوسها المفضوح قدام الناس كده ولا همه .

_ كلنا بنشحت الفرح من الدنيا بس هي أيديها فرطه مع ناس وشحيحة مع ناس , يلا نحمده على كل حال .

_عارفة يا أم بدر أنتي لو روحتي كده واتوضيتي وصليتي ركعتين , والله ها ترتاحي .

_عايزني أبقى شيخه واربي دقني زيك .

بعد أن انتهي من ضحكاتي واشعر بالصمت وانقباض قلبي ورعبي من الوحدة التي اقتربت أقدامي من وطئها .

_وليه لأ , حتى يبقى الواحد أخرته حلوة .

حسين العدوي

يأتي الليل على الحارة التي تبدو على حالها , لكن واقع الحال يقول تبدل بها الكثير , والدليل على ذلك بيتي الذي اشتراه احدهم , هدمه وبني فيه أول دور , بيت له أساس وعمدان , على عكس بيوت الحارة جميعا , لهذا عاشت البيوت التي تجاوره في قلق منذ أن تم الهدم , جميعهم اعتادوا التصاقهم ببعض , فهذا يُشعر كل واحد أن بيته مسنود على جاره , هذا الإحساس بالأمان الذي انسحب تدريجيا من بين أيديهم .

ما زلت على عادتي في المرور بالحواري ليلا , لكنني لم اعد وحدي فقد رافقتني نعمة , اتعجب لتغيرها , وصباها الذي رُد اليها , حتى انا اشعر انني عدت شابا مرة اخرى , دون عربة , دون تلك الرائحة التي كانت سببا لكره نعمة لي ..

مررت بتلك القهوة التي كانت تجذب سعيد , ذلك الذي لم اشعر نحوه سوى بالغيرة , وهل هناك مكسب في هذه الدنيا اكثر من صديق حق , رأيت الكرسيان اللذان ارتبطا بهما فارغان , المنضدة عليها كوبان من الشاي وطاولة لم يمسها احد , كلما تجاوز احدا او نسي امر هذان الكرسيان وجلس , اتاه القهوجي مفزوعا ليجلسه في مكان اخر ويظل يعتذر منهما قدر ما يستطيع , اشعر انه يراوده ان بالأمر لعنة , اذا جعل احدا يأخذ مكانهما , فهو يرى وكذلك جميعنا انهما فريدان من نوعهما ولا يجوز لنا ان ننساهم او نمحو اثرهما مهما حدث ..

رأينا ونحن نسير معا , يمسك كل منا بيد الاخر متشبثا بها , يافطة بيضاء كبيرة من القماش معلقة في منتصف الشارع مكتوب عليها اسم ابننا يونس , وقد حذف اسمي اصبح اسمه يونس العدوي , جيد انه لم يتخلص من اصله بالكامل , فهو مرشح الان لمجلس الشعب , طموح يونس مخيف ولا ينتهي , اخذ كل ما تمنى مقابل قلبه , هل يشعر بالسعادة دونما قلب , بعدما تخلت عنه زوجته حين علمت بأمر متولي وحنان , قرر ان يعاقبها على ذلك , وان يتجاوزها وأبيها مالا وسلطة ..

تمنيت ان اراه , اشعر ان هذه اخر مرة اجوب الشوارع هكذا , فقد مللتها , قد نستكين انا ونعمة في هذا البيت , فنحن نراه بيتنا , ولا نزال نراه هذا البيت ذا السقف العاري , لا بد ان يأتِ يونس الى هنا , فما يفعله يؤكد انه ما زال ينظر إلى سماءه المفتوحة ..

يأتِ الليل , انا ونعمة في غرفتنا , نسمع همهمة حنان ومتولي في غرفة ام احمد , التي اراها تنظر اليهما وتبتسم , و يونس هناك على الكنبة الخشبية ناظرا الى السماء العارية بابتسامة لا تبارحه ..

الحارة عادت لها سكينتها , وهذا المكان الذي لم يكن يعرف السكينة يوما قد استكان ايضا وتم اغلاقه , هذا الدكان طواه الظلام , وغرقت حارتنا ذلك اليوم في ظلام مهيب , ربما تستفيق على نور لم تراه من قبل , وربما يبتلعها الظلام كما فعل مع كل شيء ...